وزارة الاعلام
الهيئة العامة للاستعلامات

سلسلة رواد الحركة الوطنية المصرية
فى التاريخ الحديث

-١-

محمد كُريّم
شهيد الوطنية المصرية

تقديم السفير أيمن القفاص
رئيس الهيئة العامة للاستعلامات

تأليف : أ.د محمود متولى
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
جامعة قناة السويس

الاهـــداء

الى مصر العطاء ... الى أبطالها الأوفياء

الأحياء منهم والشهداء

تقديراً لدورهم وعرفاناً بما قدموه لبلادهم

فهـرس الدراسـة

الإهـــــداء

تقديـم ٤

تمهيـد ٥

الفصل الأول

سيرة الشهيد ...الميلاد والنشـأة

حتى تعيينه محافظاً للإسكندريـة ٩

الفصل الثانى

محمد كريم والحملة الفرنسيـــة ١٦

الفصل الثالث

محمد كريم قائداً للكفاح الشعبى ٢٨

الفصل الرابع

محاكمة محمد كريم واستشهـاده ٣٨

- ❖ تشكيل المحكمة وبداية عملها
- ❖ استشهاد البطل في ٦ سبتمبر ١٧٩٨
- ❖ تكريم الدولة لمحمد كريم

الخاتمـة ٥١

المصادر والمراجع ٥٤

المؤلف في سطور ٥٧

تقديم

تاريخ الأمة هو المرآة التى يرى فيها الفرد ذاته، فتتضح له معالم هويته وهو مصدر إلهامه واعتزازه بنفسه وبوطنه وبتراثه ، وخير معين فى جلاء الحاضر واستشراف المستقبل ، وهو سلاح من أسلحة الصمود فى وجه الكوارث والنكسات.

ولاشك أن الوعى التاريخى بمسيرة نضالنا وملحمة كفاحنا من أجل الحصول على حريتنا واستقلالنا هو أهم مايجب أن تتعرف عليه أجيالنا الشابة كى يؤمنوا أن ما وصلنا إليه كان بالبذل والعطاء والتضحية ، حتى يبقى هذا الوطن – دوماً– حر الإرادة .. لايتحكم فيه دخيل ولايهيمن عليه متسلط .

لكل ذلك تقدم الهيئة العامة للاستعلامات مجموعة دراسات تاريخية علمية نتعرف من خلالها على رموز الوطن الذين قادوا حركة الكفاح الوطنى وقدموا أروع صور البطولة والفداء .

إن الحديث عن رواد الحركة الوطنية فى مصر إنما هو – فى حقيقة الأمر – تمجيد للشعب المصرى قبل رموزه .. فالشعب هو صانع التاريخ لأى أمة من الأمم وتلك حقيقة لاجدال فيها

آمل أن يكون هذا العمل رصيداً للتذكير بالماضى .. وبعثاً لثقافة تاريخية نفتقدها كثيراً فى وقت فيه أجيالنا الشابة فى أمس الحاجة إليها .

السفير/ أيمن القفاص

رئيس الهيئة العامة للاستعلامات

تمهيـد

من الحقائق المسلم بها أن نسبة كبيرة من أجيال شعبنا لاتعرف الكثير عن تاريخنا القومى ، المصرى أو العربى والتاريخ العالمى .. مما سيؤدى إلى حالة من التخلف فكرياً واجتماعياً واقتصادياً وسوف يترتب على ذلك أن الكثير من شبابنا قد يجد ضالته فى المعرفة من الكثير من القنوات الفضائية .. وشبكات المعلومات والتى كثيراً ماتسعى إلى أغراض محددة قد تخرج عن نطاق المصلحة الوطنية لكثير من الشعوب .

وتلك السلسلة سوف تصدر طباعتها من الهيئة العامة للاستعلامات فى صورة كتيبات تحمل بساطة العلم وعمق المنهج وثراء المحتوى وتستند إلى الوثائق التاريخية .

والمصريون بناة حضارة باعتراف كافة الباحثين ... فهم شعب صاحب رسالة خالدة ولم تكن مصر من الأمم التى عاشت على هامش التاريخ ، بل حتى وقت نكساتها كانت تؤثر فى الغزاة وتحفر لهم قبوراً أو تجعلهم ينضوون تحت لواء شخصيتها الحضارية .

وهذه الدراسات التى شرفتنى الهيئة العامة للاستعلامات - من خلال رئيسها الشاب الهمام والمثقف الموسوعى السفير أيمن القفاص – بكتابتها فى صورة حلقات تشرح وتفسر وتحلل مواقف مجموعة من المناضلين من أجل مصر الوطن.. مصر الأمل .. مصر المستقبل .. مصر الحضارة .. مصر الحرية إيماناً منى بأن هؤلاء الرموز يجب أن يكونوا قدوة وأن يحتذى بهم كنبراس يضىء لنا الطريق نحو تربية سياسية نحن فى أمس الحاجة إليها .

ولما كانت مصر بإعتراف مؤرخى العالم ومفكريه تملك رصيداً من العظمة التاريخية من خلال ماقدمته من شموع أضاءت حتى الرمق الأخير خلال حقبها التاريخية المعروفة ، لذلك رأينا أن نبدأ بالتاريخ الحديث القريب لنا والذى لم تنس أحداثه بعد ... بل وفوق ذلك قد لاتعرف الكثير من أجيالنا الشابة بعض تفصيلاته ..

وفى عرف المؤرخين التقليديين يبدأ تاريخ مصر الحديث بسقوط دولة المماليك سنة ٩٢٣هـ /١٥١٧م بعد دخول السلطان العثمانى سليم الأول فى مصر فى أعقاب انتصاره على السلطان المصرى المملوكى " قاونصوه الغورى" فى معركة مرج دابق(شمال حلب) سنة ١٥١٦م ثم انتصاره على نائبه فى القاهرة السلطان "طومان باى"الذى حمل لواء النضال والتصدى لمواجهة العثمانيين ولكنه هُزم أمام العثمانيين فى معركة الريدانية سنة ١٥١٧م .

ومنذ ذلك التاريخ أصبحت مصر ولاية عثمانية ، وكانت الحكومة فى عهد العثمانيين فى مصر تتكون من الباشا الذى يحضر من الآستانة(عاصمة الدولة العثمانية وهى التى كانت تعرف باسم القسطنطينية) وكان للوالى وكيل يعرف بإسم " ألكتخدا " وحامل أختام يعرف باسم " مهردار " ثم هناك أمين خزينة يسمى " خازندار" ، كما كان للوالى ترجماناً لأن أغلبهم كان لايعرف اللغة العربية بالإضافة إلى رئيس للديوان بمثابة المسئول عن كل الشئون الإدارية الخاصة بالوالى وكان لكل والى مجموعة من الخصيان يعرفوا باسم " الأغاوات " .

والوالى كان يتخذ من القلعة مقراً له ، وإلى جانب الوالى وجد ديوانان أحدهما الديوان الصغير والذى كان بمثابة مجلس الوزراء للباشا أو الوالى العثمانى ، وهذا الديوان الصغير كان يتكون من وكيل الباشا والمسئول عن الشئون المالية (الدفتردار) أما الديوان الكبير فهو يتشكل من مجموعة من الموظفين العثمانيين إلى جانب رئيس الحامية العثمانية وكذلك رؤساء الفرق العثمانية الموجودة فى مصر (والتى كانت تعرف بإسم الأوجاقات) ويضم الديوان الكبير أمير الحج ، ورؤساء المذاهب الأربعة والقاضى ، والديوان الصغير ينفذ السياسة العامة التى يقوم برسمها الديوان الكبير .

وخلال القرن الـ١٨أصبح الباشا مجرد رمز ، وأصبحت الأوجاقات صاحبة الأثر الفعال فى البلاد مما أتاح للمماليك فرصة تعاظم نفوذهم السياسى والعسكرى .

وكان قوام الإدارة الحكومية فى أقاليم مصر حكام الولايات والمديريات

(والذين كانوا يعرفوا بإسم الصناجق) وكان بمصر ست فرق عثمانية إلى جانب فرق للمماليك أطلق عليها " وجاق الشراكسة " .

وانفتح المجال أمام المماليك ليصبحوا أصحاب السلطة الفعلية فى البلاد خاصة وأنهم كانوا أقرب للتغلغل فى الحياة المصرية من العثمانيين ، وقد إنتهز المماليك فرصة انشغال الدولة العثمانية بمشكلاتها الداخلية وحروبها الخارجية وصار لزعيمهم الذى كان يعرف باسم شيخ البلد الكلمة العليا على الباشا إلى درجة أنه كان يمكن أن يسجنه فى القلعة أو ينفيه خارجها أو حتى خارج مصر كلها .

وفى سنة ١٧٦٧م أصبح صاحب السلطة الفعلية فى مصر المملوك على بك الكبير والذى نجح فى تحقيق شبه استقلال بمصر ولكن مؤامرة الدولة العثمانية عليه واستمالتها قائده العسكرى محمد بك أبو الدهب .. والذى بوفاة على بك أصبح هو شيخاً للبلد ولكن الدولة العثمانية لم تتركه يحكم طويلاً حيث استولى فقط على السلطة بين عامى ١٧٧٣-١٧٧٥م.. وتعلمت الدولة العثمانية من دروس على بك الكبير فصممت بعد وفاة محمد أبو الدهب أن تقسم مشيخة البلد بين إثنين من زعماء المماليك أحدها للوجه البحرى هو ابراهيم بك والثانى للوجه القبلى هو مراد بك .

وظل الحال على هذا المنوال حتى مجىء الحملة الفرنسية على مصر المعروفة باسم حملة فرنسا على الشرق فى فجر القرن الـ١٩ .

ويتفق معظم المؤرخين المحدثين على أن تاريخ مصر الحديث تبدأ ارهاصاته (أى مقدماته) بقدوم الحملة الفرنسية ، وأن مصر الحديثة تبدأ بحكم محمد على باشا سنة ١٨٠٥م واصطلح على تسمية الحقبة التاريخية مابين الفتح العثمانى الى ولاية محمد على باسم مصر العثمانية .

وأول رموز الحركة الوطنية التى ستكون على رأس هذه السلسلة " محمد كريم" شهيد الوطنية وعنوان النضال ضد الحملة الفرنسية، والمصرى الذى تصدى لبونابرت رغم قلة إمكانياته ولكنه اعتمد على العصا السحرية فى مواجهة التحدى ونقصد بها المقاومة الشعبية .

فمن هو محمد كُريِّم .. وماهو الدور الذى لعبه وكيف كانت نشأته ونهايته وماهى الظروف التى أدت إلى استشهاده .. تلك هى محتوى السطور التالية .

نأمل أن يكون للرسالة معنى ... وللسطور هدف ... حتى نعرف ما كان فى ماضينا ...ليمكن فهم حاضرنا وبناء مستقبلنا .

أ.د. محمود متولى

الفصل الأول
سيرة الشهيد .. الميلاد والنشأة

السير فى التاريخ هى أشهى كتب التاريخ إلى نفس القارىء ، لأن الإنسان ينشد دائماً معرفة ذاته ، ونسعى إلى معرفة الكمال والنقص فى غيره مقروناً إلى ذاته ، وكأنه يريد أن يطمئن إلى نفسه مما يراه من صور غيره.

فالإنسان يقرأ سيرة وكأنه يرى فيها صورته أو صورة مايتمناه ، فقد تمنحه الثقة فتدفعه إلى الطموح ، أو تغرقه فى خيال كاذب من البطولة والعظمة حين يصور نفسه على صورة البطل ، وهذا أسوأ ماتؤثر به السيرة فى قارئها وخاصة إذا أغرق كاتبها فى تمجيد الشخصية لذاتها .

والبطل فى السيرة ، يتضح بتأثير الظواهر الإجتماعية فى حياته ، وأثر تكوينه الجسمانى فى سلوكه وأعماله ، والبحث عن هفواته ونزواته أو جوانب حياته الشخصية ، لعلها تفسرعبقريته أوطريقته فى التغلب على الصعاب أو اقتحام المخاطر أو علاج المشكلات .

والسيرة كبحث من مباحث التاريخ ، تمثل حياة إنسانية متكاملة من المهد إلى اللحد ، بل إنها تصل إلى ماقبل المهد من تاريخ الآباء والأجداد وتمتد إلى مابعد اللحد فيما تخلفه من أثر فى جيلها وفى الأجيال اللاحقة، وفى السيرة الحدث أو العمل هو الذى يمثل وحده دون الزمن الإطار الأكبر منها ، أى أن الأفعال العظيمة التى يقوم بها البطل هى التى تجذب اليه إنتباه التاريخ ، وإن كانت الأعمال العظيمة التى تنسب اليه قد لاتحتل من الإمتداد الزمنى إلا بعضه ، ونغوص فى تاريخه إلى نشأته وطفولته ، ودراسته وتقصى حياة أبويه وأسرته وتقصى أهوائه وملامحه الشخصية لنرى الأساس لتفسير الحوافز النفسية للبطل ثم نرد أعماله إلى تلك الحوافز .

والسيرة قصة تاريخية لاتختلف مطلقاً عما يقيده التاريخ من حقائق تعتمد على الوثائق والمدونات والأسانيد القاطعة البعيدة عن الكذب والافتراء .. وهى

أحفل من التاريخ العام بالعواطف الزاخرة الجياشة والأحاسيس النابضة ، لأنها تعرض من سيرة الفرد لجوانب حياته المختلفة حتى تتجلى مقومات شخصيته وتبرز معالم حياته لتفصح عن سر نبوغه وتفرده ، فهى أكثر نبضاً بالحياة من التاريخ ، ففيها نفس الإنسان مباشرة .

والمؤرخ ينفعل بشخصية البطل وأعماله ، وقد لايكون إنفعاله ساراً ، فقد يتناول سيرة لاتثير إعجابه أو تبعث الراحة إلى نفسه وهناك شخصية البطل المغامر .. أو الغازى .. أو الفاتح ..وهناك شخصية البطل فى صورة إنسان .

وهناك عبقرية العالم ومثابرته فى الكشف عن قانون يطور العلم ويدفعه إلى الأمام ، أو المخترع الذى يقدم للإنسانية اختراعاً يعود عليها بالنفع والخير .

فالسير متعددة بتعدد اللون المحبب للمؤرخ ، وبتعدد الأحكام التاريخية تبعاً لذلك . والقارىء يمكنه أن يحكم فيما يقرأ وفيما يستهويه من تلك السير .

وشخصية محمد كريم شخصية خصبة تعكس أصالة الشعب المصرى وهى من السير العطرة فى حركة التاريخ المصرى .

فقد كان شخصية أحبت مصر .. وناضلت فى سبيل حريتها .. وكان يقول :-

إنَّ الحرية هى الحب الأكبر الذى يجب أن يكون مقدساً فى حياة كل إنسان عاقل .. وكان يحلم بتحرر مصر من أيدى العثمانيين والمماليك لكى تعود مقاليد أمورها إلى أبنائها ... ولكن خصوبة الحلم هدأت أمام إحباطات كثيرة وإنكسارات كبيرة .

آمن أن المجتمع المريض وحده هو الذى لاتشتبك فيه كراته الحمراء والبيضاء فى صراع شريف من أجل الحقيقة .. وظل ينادى أن الخوف لايبنى وطناً وأن السلبية هى أنانية مغلفة وإنتهازية لايستفيد منها أحداً حتى المتمسك بها .

كان يقول : إن راحة الوطن وأحلامه وأحزانه يجب أن تكون هاجس التفكير لدى كل مواطن .. ولابد من التفاعل معها والانشغال بها بل وضرورة المشاركة ليخرج الوطن من مأزقه .. وإلا ما كنا نستحق الحياة فوق أرضه .

محمد كريم
النشـــأة والميـــلاد
حتى ولايته حاكماً على الإسكندرية

هو بطل عظيم من أبطال الإسكندرية .. ويعتبر أول كلمة فى سطر الكفاح الوطنى فى ملحمة النضال المصرى ضد الغزو الأجنبى فى تاريخ مصر فى أعقاب الغزو العثمانى بنحو ثلاثة قرون ، وكان يتمتع بذكاء فطرى .

وهو أول شهداء الحملة الفرنسية ممن كانوا يشغلون منصباً عاماً ، حيث وقف فى وجه نابليون وكليبر وقاومهما من خلال حرب العصابات التى أدارها باقتدار وبسرية كاملة ، وقاد الحرب الشعبية ضد الحملة الفرنسية فى الوقت الذى خذلت الدولة العثمانية الشعب المصرى وانسحبت الحامية العثمانية هرباً من المواجهة .

وقد نشأ محمد كريم وسط أسرة متوسطة الحال وسارت عليه الأيام بخيرها وشرها، وقد ولد محمد كريم فى منتصف العقد الرابع من القرن الثامن عشر الميلادى أى فى عام ١٧٣٥م، وإن كان البعض يقرر أن مولده بعد ذلك بعشر سنوات أى نحو سنة ١٧٤٥م ، وهذا الخلاف نتيجة لعدم وجود سجلات لقيد المواليد فى ذلك العصر ومن ثم لانستطيع أن نحدد تاريخ ميلاده على وجه الدقة وإن كنا نخمن أنه ربما ولد عام ١٧٤٠م (١) .

كان أبوه رجلاً متديناً فعلم إبنه العلوم الدينية ومبادىء القراءة والكتابة فى أحد كتاتيب الإسكندرية ، ثم أرسله أبوه بعد ذلك كعادة مشايخ ذلك العصر إلى

(١) من الجدير بالذكر أن " عبد الرحمن الجبرتى " المؤرخ المعاصر لتلك الفترة لم يذكر تاريخ ميلاد محمد كريم ، وكل ماذكره فى ترجمته أنه كان قبانياً(وزاناً) يزن البضائع فى حانوت له بالثغر ، ثم سرد مجملاً لتاريخ أعماله أنهاه بتاريخ إستشهاده بيد " الفرنسيين" فى يوم الخميس ٢٥ من ربيع الأول سنة ١٢١٣هـ /٦ سبتمبر سنة ١٧٩٨م، وكان عمر " محمد كريم " عند حضور الحملة الفرنسية إلى مصر سنة ١٧٩٨ يدل على أن سنه دون الستين .. كما أن المتأمل لصورته التى أمر الجنرال بونابرت برسمها له بعد نزوله الإسكندرية بعدة أيام تبين أنها لرجل تخطى الخمسين من عمره ببضع سنوات . ومن يتتبع روح الحركة لدى محمد كريم سوف يتأكد أنه كان دون الستين بقليل ، وهى سن تمكنه من تحقيق ماكان يسعى إليه وبذل الجهد العنيف الذى قاوم به الغزو الفرنسى .

الأزهـر الشريف لاستكمال دراسته الدينية وظل بالأزهـر عدة سنوات حظى فيها بقسط من العلوم الدينية واللغة العربية والفقه والشريعة (١) .. ولكنه يضطر للعودة إلى الإسكندرية بعد وفاة والده الشيخ كريم الذى ترك إبنه الصبى الصغير بغير مهنة ولا وظيفة وزاد الطين بلة أن الأب ترك أسرة كبيرة العدد ولم يكن الأب يملك مالاً أو عقاراً يعتد به ..

وكان محمد كريم هو أكبر ابناء الأسرة مما جعله يقطع تعليمه ويهىء نفسه كى يتحمل عبء مسئولية الإنفاق على الأسرة . ووجد محمد فى وراثة أبيه الذى كان يعمل قبانا(أى وزاناً) ليكتسب رزقه منها .. وجد محمد كريم أن يكسب رزقه من إمتهان مهنة أبيه لينفق على أسرته .. وقد منحه شيخ الوزانين بالإسكندرية دكانا ليبدأ فيه حياته العملية .

منذ صغره تعلم مبادىء التربية السياسية على يد والده (٢) ، وعرف الكثير مما يجرى حوله فوق أرض مصر سواء من جانب الأتراك العثمانيين أو المماليك السلاجقة لأن عمل والده فرض عليه الاحتكاك بالتجار .. حيث كان هؤلاء التجار إذا فرغوا من عملهم إندفعوا فى ثرثرة سياسية متصلة ، وكان والده يتابع حواراتهم ومايدور من مناقشات وآراء ووجهات نظر ، بل كثيراً ماكان يدخل معهم فى حوارات .

وكثيراً ماكان الوالد يختلف معهم فى تحليل الأوضاع التى كانت تمر بها مصر فى ظل الحكم العثمانى ... ولكنهم كانوا يتفقون على شئ واحد هو أن سياسة

١) كان محمد كريم هو الولد الوحيد لأسرته وظل والده يتمنى من الله أن يرزقه بأبن ذكر بعد أن أنجب عدداً من البنات .. وذلك ليعينه فى الحياة، ووقت ولادته كان قلقاً على زوجته حين جاءها المخاض ، وهى على حال من الصحة لم تكن تطيق معها تحمل آلام الولادة ويوم مولده انطلقت الزغاريد فى أرجاء البيت ومنح القابلة التى ولدت زوجته مبلغاً كبيراً ونذر أبنه لخدمة الدين ليجعل منه إماماً يهرع إليه أهل بلده يتبركون به ، ويستفتونه فى أمور دينهم ودنياهم .. ولكن وفاة والده المفاجئة حرمته تحقيق حلمه أن يصبح واعظاً أو من رجال الأزهر ولم يستطع أن يحمل نفسه على ما أراد إذ أن حياة الناس ليست رهناً بما يريدون وليست مستجيبة لما يقدرون وإنما هى أمور خفية يجريها القضاء لادخل لأحد فيها ... ثم يكون لها فى حياة الناس من الآثار مالم يكن ليخطر لهم على بال .

٢) لما كبر الطفل وأصبح فى عداد العلماء الكبار وملأ حياة والديه بهجة وإنشراحاً كان والده يصطحبه معه دائماً فى حلة وترحاله ، فرحاً به زهوا بعلمه حتى أصبح أهل الحى الذى يقطن فيه لايرونه إلا وهو سائر معه أو جالس بجانبه مع زوار أهل بيته الذى كان كثيراً ماتقصده جماعة متنوعة فى أشكالها وهيئاتها من رجال الحرف والتجارة وأرباب المال فى الثغر .. كانوا يتحدثون أمامه بحديث الأسواق والأرباح والخسارة وكان يلفت نظره دائماً الأخبار الخاصة بالحرب والقتال ويستمع إليها بشغف .

البلاد تمثل لعبة الفريسة والوحش .. وأن الفريسة دائماً هى مصر ، أما الوحش فهو الوالى العثمانى وزبانيته والمحيطين به من المماليك .

وعرف الإبن –محمد كريم –الكثير عن الرسوم والضرائب التى كانت تفرض على الشعب المصرى والتى كانت تثقل كاهله وسبباً فى عذاب وتشرد الكثير من المصريين ومعاناتهم منها .

وفى سن العشرين كان محمد كريم يحظى بشئ من الثقافة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وحظ من المعارف الدينية إلى جانب تميزه ، بلباقة فى الحوار ورهافة الحس كما كان يتمتع بخفة روح وقوة جاذبية فى الشخصية تحببه إلى الناس وتقربهم منه وتحبب الناس فيه أيضاً ، حيث تملك حلاوة اللسان وسرعة الخاطر .

ونظراً لأمانته فى عمله وضميره الحى فقد تعامل معه الكثيرون وأزدهرت أعماله بعد أن رآه الناس يزن بيديه ويباشر كل صغيرة وكبيرة بنفسه ، وأصبح له صبيان ومساعدون يعملون تحت إمرته ، ويتصرفون بتوجيهاته وتعليماته وذاع صيته فى مختلف أنحاء الإسكندرية حتى عرف أكثر الناس فيها ، وصار من القبانيين المعدودين بها إلى درجة أن لقبوه بلقب " السيد " مع أن مثل هذا اللقب كان يخص من ينتسبون إلى سلالة الأشراف الذين يعودون بجذور نسبهم إلى الروضة النبوية الشريفة .

عاصر محمد كريم أحداث مصر قبيل قدوم الحملة الفرنسية وشاهد بعينه مشاحنات المماليك مع بعضهم البعض ومع الوالى العثمانى وكيف كان يتم الصلح بينهما على حساب مصلحة المصريين وكان يتضايق كثيراً من الفتن والمؤامرات التى تدور بين هاتين الطائفتين صراعاً على النفوذ والسلطة .

فقد شهد الصراع بين راقم باشا –الوالى العثمانى المُتغطرس – وعلى بك الكبير الذى تصدى له ووقف فى وجهه وعزله ، ورأى محمد كريم تألق نجم على بك الكبير الذى أصبح والياً على مصر –رغم أنف السلطان العثمانى .

وقد أستاء كثيراً محمد كريم عندما قام محمد أبوالذهب قائد على بك الكبير

بخيانة سيده أمام إغراء الدولة العثمانية –التى عجزت عن مواجهة على بك فى ميادين القتال فرأت فى التآمر عليه وسيلتها للتخلص منه .. وكان حزن محمد كريم أن مصر عادت إلى الفوضى من جديد وبالذات بعد إنتهاء فترة حكم محمد أبوالذهب القصيرة من سنة ١٧٧٣م حتى سنة ١٧٧٥م ، حيث عادت الدولة العثمانية للسيطرة من جديد على مقاليد الأمور فى مصر حيث قامت بتعيين والى جديد على مصر وأصبح لمصر شيخان للبلد أحدهما مراد بك للوجه القبلى والثانى إبراهيم بك للوجه البحرى، حتى لاينفرد شيخ البلد الواحد بشئون مصر ويكرر فعلة على بك الكبير .. وحرص شيخا البلد الجديدان على نهب أموال الشعب الفقير المسحوق .

عاش محمد كريم تلك الأحداث فى ألم دفين لما كانت مصر تعانيه من فساد وخراب يصل إلى حد الدمار .. ألم بكل مصر وبالذات الإسكندرية على يد هذين المملوكين .

وبرغم كل ذلك فإن شيخا البلد لم يكونا فى موقف الصدام مع محمد كريم وكان مراد بك يبحث عن رجل قوى الشخصية ليوليه نائباً عنه فى الإسكندرية ووجد من محمد كريم الإنسان الذى سوف يحقق هذه الرغبة خاصة وأن محمد كريم كان محبوباً من أهل الإسكندرية مما سوف يجعله قادراً على إشاعة الأمن فيها وجمع الضرائب منها فى غير سخط ولاضجة ولاتمرد ، ومن ثم بادر بتعيينه حاكماً على الإسكندرية ومديراً لجماركها ومشرفاً على ثغرها .. كما أسند اليه أيضاً ثغر رشيد .. وهكذا أصبح محمد كريم محافظاً على الإسكندرية عند وصول الحملة الفرنسية إليها .

واجتهد محمد كريم فى عمله الجديد وأصبح مثلاً للحاكم العادل حيث رسم لنفسه مجموعة من الأهداف التى التزم بها خلال ممارسة المسئولية وتتمثل هذه الأهداف فى:

١- رفع المظالم عن الناس .
٢- توفير الخدمات لهم .
٣- نشر الأمن فيما بينهم .

رسم سياسته وصمم على الالتزام بها فى الوقت الذى كانت مصر تتعرض فيه لعواصف عاتية من الصراع بين المماليك بعضهم البعض، وبين المماليك والعثمانيين وبين الفئتين والشعب المستعبد الذى كان رغم كده وعرقه يكاد لايجد قوته بشكل دائم .

ولكن ساعد على تنفيذ برنامجه ماكان يتمتع به من سمات شخصية حيث كان نقياً ورعاً عفيف اليد مترفعاً غاية الترفع عن ظلم الناس ، واستغلالهم أو النيل من أموالهم بغير حق وكان بهم رحيماً رقيقاً .. ولكن فى حكمة وحزم .. فقد كان يأخذ الضرائب ويحصلها والرسوم التى يفرضها مراد بك مع مراعاة حالهم ، فلا يكلفهم منها مالا طاقة لهم به وهو حافظ على المال العام ويتجلى حرصه وطهارة يده فى أنه كان يخصص جزءاً من هذه الأموال على إصلاح شئونهم وإعانتهم على الحياة الراضية الكريمة وارتاح السيد محمد كريم لهذا الجهد الكبير الذى أرضى به نفسه وأقنع به المماليك ووفى به الإسكندرية حقها وحقوق أبنائها عليه وظهر أثر ذلك فى استقرارها بالحكم الجديد .

وكانت الإسكندرية فى ذلك الوقت مدينة صغيرة يبلغ عدد سكانها نحو ثمانية آلاف نسمة عمرانها متهدم وبيوتها أشبه بمبانى القرى وشوارعها ضيقه كثيرة التعاريج ومعظم سكانها فقراء .. فالفرق كبير بين حالتها فى ذلك العصر وماصارت إليه الآن من العظمة والاتساع والجمال .

الفصل الثانى
محمد كريم والحملة الفرنسية

جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر وإستمرت بها نحو ثلاث سنوات وثلاثة أشهر وكان هدفها السيطرة على أقصر طريق إلى الهند وإلى رغبة فرنسا فى تأسيس مستعمرة لها فى الشرق تكون مصر قاعدتها .. وبقدوم هذه الحملة إلى الشرق .. ظهر على مسرح السياسة الدولية مايسمى فى التاريخ السياسى للمنطقة باسم " المسألة المصرية " .

وقد اختلف المؤرخون فيما بينهم فى تقدير أهمية تلك الحملة الفرنسية حيث بالغ البعض واعتبروها مفتاح التقدم لكل ماحدث من تطور بعد ذلك فى مصر.

وقال البعض أنها لم تكن من الوجهة العملية سوى وسيلة لاستثارة عزائم كانت تسعى من قبل للتعبير عن نفسها وتتجه نحو التقدم حيث سبقها تيار من التجديد العقلى والدينى بدأت معالمه تتضح قبيل عام ١٧٩٨ (تاريخ وصول الحملة الفرنسية إلى الإسكندرية) ويصل البعض إلى أن " احتكاك الحضارة الشرقية على ماوصلت إليه من جمود نسبى بالحضارة الغربية الثورية الماثلة فى الحملة الفرنسية قد خلق مناخاً جديداً وأتاح الفرصة للبذور الوليدة أن تنمو وأعطى حركة للمجتمع لم تكن لتتاح إلا بعد فترة طويلة من الزمن لو لم تجئ الحملة الفرنسية" . (١)

والواقع أن كل مانستطيع أن نبينه من أثر للحملة الفرنسية على مصر أنها زعزعت الدعائم العسكرية والسياسية للنظام القائم فى مصر بهزيمتها المماليك، إذ أبعدتهم عن الحكم وصادرت أطيان الملتزمين منهم وحرضت المصريين ضدهم ، وقتلت البعض منهم وشردت البعض الآخر، فكان ذلك ضربة شديدة وجهت للنظام الإقطاعى المملوكى فى مصر ... هذا إلى جانب أن الحملة الفرنسية هزت

(٤) لقد أخفقت الحملة الفرنسية عسكرياً لكنها نجحت فى توجيه أضواء العالم الحديث إلى ماضى مصر العريق ولفت أنظار المجتمع الدولى الى أهمية مركزها السياسى وموقعها الإستراتيجى .

المفاهيم الفكرية والاجتماعية التى كان المجتمع المصرى يخضع لها ومهدت بذلك لحركة النقضاض عليها والعمل على تغييرها.

ومع التسليم –بلاجدال –بأن هذا الأثر ليس بالأمر الذى يستطيع أحد أن يهون من شأنه إلا أن المتتبع لتاريخ مصر فى السنوات التى أعقبت خروج الفرنسيين لايكاد يجد تغييراً يذكر فى حياة المجتمع المصرى، عما كان عليه فى السنوات السابقة للحملة ولعل السبب قصر مدة الحملة والسبب الثانى فى انعدام التفاهم بين الجانبين المصرى والفرنسى حيث كان اللقاء بينهما عدائياً مصحوباً بثورات وقلاقل متعددة وزاد من توتره اختلاف الدين من جهة وتباين العقلية من جهة أخرى .

ويمكن أن نؤكد : أن الحملة الفرنسية حينما جاءت إلى مصر كان الصراع بين المماليك وبين الشعب المصرى كان قد بلغ ذروته حيث ثار المصريون فى سنة ١٧٩٥ م ثورة ضخمة ضد أمراء المماليك عرفت فى بعض مراجع تاريخ مصر الحديث باسم " ثورة العهد الأعظم فى مصر" تشبهاً بثورة نبلاء إنجلترا عندما ثاروا سنة ١٢١٥م ضد الملك جون الثانى وحصلوا منه على " الماجنا كارتا " أى "العهد الأعظم" والذى بمقتضاه أُقر مبدأ تشريعى هام وهو ألا تفرض ضريبة على الشعب إلا بعد استشارة ممثليه ونوابه وموافقتهم عليها، وقد حصل ممثلوا الشعب المصرى وقادة تلك الثورة على وثيقة تاريخية من المماليك وعلى رأسهم شيخى البلد مراد بك وإبراهيم بك ووقعها بخاتمه الوالى العثمانى وسميت تلك الوثيقة " الحجة الشرعية " .. ولاشك أن المقارنة بين الحدثين فى مصر وفى انجلترا نظرة مبالغ فيها .

وكحقيقة تاريخية فإن الأزهر كان يموج بالثورة قبيل قدوم الحملة الفرنسية وكان مشايخه وعلماؤه يقودون الكثير من التيارات الفكرية والتمردات السياسية ضد كل خروج لسلطة الأتراك العثمانيين والمماليك الجراكسة على الشرعية أو السير فى البغى وظلم الشعب وإرهاقه بالضرائب الفادحة .

جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر بقيادة بونابرت ومحمد كريم لايتجاوز من

العمر الستين عاماً وتصادمت إرادة الرجلين .. رجل يدافع عن وطنه وحرية قومه ورجل جاء حالماً غازياً .. يحلم بإمبراطورية يبنيها قاعدتها مصر .. رجلان فى المواجهة وإن كانا قد تقابلا فى ساحة الحرب .. ورغم إنتصار قائد الحملة إلا أنه إنحنى إعجاباً وتقديراً لخصمه الشريف .

ويذكر التاريخ أن نابليون بونابرت .. أصبح جنرالاً فى الجيش الفرنسى وهو فى الرابعة والعشرين من عمره .. وكان قائداً لجيش إيطاليا وهو فى السادسة والعشرين وأمبراطوراً لفرنسا وهو فى الخامسة والثلاثين ثم نُفى إلى جزيرة " إلبا " وهو فى الخامسة والأربعين ، وكانت نهايته هزيمة " واترلو " حيث تكاتلت عليه الدول الأوروبية حتى استسلم وأجبر على قضاء بقية عمره فى جزيرة " الشيطان " المعروفة باسم " سانت هيلانه " ، وظل من ١٨١٥م حتى سنه ١٨٢١م حيث توفى العام التالى ، وقيل أن الطبيب الأنجليزى الذى كان يعالجه قام بتسميمه خلال السنوات الست بنوع معين من الزرنيخ لم يكتشف أبدا (١)

ومن الجدير بالذكر أن التفكير فى إرسال حملة فرنسية إلى الشرق هدفها الأول الاستيلاء على مصر .. يعود التفكير فيها إلى عهد لويس الرابع عشر ولكن لم تتح الفرصة لتنفيذ الفكرة فيما بعد قيام الثورة الفرنسية (٢) .

وعندما عاد نابليون إلى باريس فى ١٠ ديسمبر عام ١٧٩٧م بعد تحقيق نصره العظيم على النمسا فى إيطاليا . وقد عينته حكومة الإدارة التى تشكلت فى فرنسا فى أعقاب سقوط عهد الإرهاب الأعظم وإعدام روبسبير قائداً لجيش

(١) ولد بونابرت فى جزيرة كورسيكا فى عام ١٧٦١م وكانت هذه الجزيرة قد انتقلت من أيدى حكام جنوا الإيطاليين إلى أيدى الملكالفرنسى لويس الـ١٥ وأبوه هو كارلو وأمه هى " لينيزيا" وقد تزوجت أمه أباه فى الرابعة والعشرين من عمرها حيث كان زوجها فى الـ ١٩وأنجبا خلال زواجهما ١٣ إبناً وبنتاً عاش منهم ثمانية وكانت أمه رائعة الجمال وصفها نابليوت بأنها كانت كألهة الإغريق وقد ورث نابليون عنها إرادتها الحديدة وقد درس فى كلية أوتون شهوراً قليلة ثم تركها والتحق بالأكاديمية الحربية فى برين بمقاطعة شامبين فى عام ١٧٧٩ وبقى بها حتى عام ١٧٨٤ حيث أبدى تفوقاً فى دراسته واختير للالتحاق بالأكاديمية الحربية فى باريس التى تخرج منها سنة ١٧٨٥موقد مات أبوه غى عام تخرجه أما أمه فقد عاشت حتى بلغت من العمر ٨٦ عاماً وكتبت فى أخريات أيامها " لقد ظن الجميع أننى أسعد إمرأة فى الوجود ولكن حياتى كانت سلسلة من ألأحزان والكوارث . وفى كل مرة تسلمت فيها خطابات كنت أتوقع أخبار مفجعة عن الإمبراكور وقد روج الإنجليز وبعض كتابهم عن نابيلون وعائلته الكثير من الأكاذيب ولكن ذلك لايستغرب منهم لأنهم أغتبروه العدو الأول لهم الذى يحاول هدم إمبراطوريتهم .

(٢) دعا ليبنتز أحد وزراء لويس الـ١٤ إلى وجوب غزو مصر وبين له أن امتلاكها يجعل فرنسا سيدة العالم وقد رأى ذلك غيره من وزراء فرنسا بعده ، ولكن فرنسا لم تخط خطوة فى هذا السبيل إلا على يد نابيلون بونابرت .

انجلترا والهدف غزو انجلترا ، ولما وجد أن المشروع سوف يتأخر والاستعداد غير تام فقد فكر رجال حكومة الإدارة فى مشروع آخر هو غزو مصر ويقال أن نابليون هو الذى اقترح هذه الفكرة التى كانت تداعبه منذ صباه .. وكانت حكومة الإدارة تريد التخلص من نابليون بعد أن علا نجمه وخشيت من ارتفاع نجمه أكثر. ومحاولة قفزه على السلطة .. كما أن نابليون كان يريد بناء أمبراطورية له فى الشرق تكون قاعدتها مصر .. تشبها فى ذلك بالإسكندر الأكبر الذى كان مثله الأعلى .

وفى ١٢ أبريل سنة ١٧٩٨ صدر قرار حكومة الإدارة بتجهيز حملة بقيادة نابليون لغزو مصر واختار نابليون معاونيه وكان من بينهم نخبة من شباب القواد والعلماء الفرنسيين ، وتألف جيش نابليون وقتها من ١٣٤ ألف جندى ، ١٦ ألف بحار وضم نابليون إلى الحملة حوالى ٥٠٠ موظف وإدارى وصحب الحملة لجنة علمية يرأسها العالم الفرنسى " كافاريلى " وقد تسلل إلى الحملة أيضاً حوالى ٣٠٠ إمرأة من زوجات الرجال المشاركين فيها أو بعض صديقاتهم من الفرنسيات.

وقد نظم نابليون جنوده فى ٥ فرق ، وضع على رأسها الجنرالات ديزيه وكليبر وباراجيه (وقد حل مينو مكانه بعد ذلك) ورينيه وبون وجعل على رأس المدفعية الجنرال دين مارتن . وعلى الفرسان الجنرال ديماس (والد الروائى الفرنسى الشهير الكسندر ديماس) .

كما أن اللجنة العلمية التى رافقت الحملة من ١٦٧ عالماً وفناناً كان منهم مجموعة من المهندسين والمعماريين والمساحين والرسامين والأثريين والفلكيين ، والبنائين والأطباء والجراحين .

أطلقت حكومة فرنسا على هذه الحملة " جيش الشرق " وصدر القرار يحمل تعليمات واضحة لقائدها بونابرت من ست بنود ومقدمة ، فأما المقدمة فقد أوضحت أن سبب هذه الحملة هو عقاب المماليك الذين اتصلوا بالإنجليز وأصبحوا تحت تصرفهم وأن هؤلاء المماليك اضطهدوا التجار الفرنسيين واستغلوهم أسوأ استغلال وأساءوا معاملتهم (كان مجموع تجار فرنسا فى مصرفى ذلك العهد لايزيد عن ٦٥ تاجراً)

وفى البند الأول : تقرر إعطاء القيادة البحرية والبرية لبونابرت .

أما البند الثانى : فقد طلب من القائد العام طرد الإنجليز من كافة ممتلكاتهم فى الشرق ومن الجهات التى يستطيع الوصول إليها والتغلب عليها وبالأخص المراكز التجارية فى البحر الأحمر .

البند الثالث : خاص بتنفيذ مشروع لربط البحر الأحمر بالبحر المتوسط واتخاذ كافة الوسائل اللازمة التى تتيح لفرنسا السيطرة الكاملة على البحر الأحمر والتجارة فيه .

وفى البند الرابع : كُلف نابليون بونابرت بالعمل على تحسين أحوال المصريين .

وجاء البند الخامس : ليوصى بالمحافظة على العلاقات الحسنة مع السلطان العثمانى.

وأخيراً ينص البند السادس : على أن تظل هذه الأوامر والتعليمات غير مطبوعة وسرية .

وبالطبع كانت بعض البنود خارج نطاق المنطق العقلى ولكنها ذرا للرماد فى العيون .. إذ كيف يحافظ على العلاقة الحسنة مع السلطان مع أن الحملة تعتدى على أملاكه ؟ .. بل جوهرة ولاياته ونقصد بها مصر طبعا..

وقد حمل نابليون معه أول مطبعة تدخل مصر وزودها بحروف كاملة لاتينية ويونانية واستحدث فى مصر حروفاً عربية ورافقه أربعة مترجمين على رأسهم المستشرق الفرنسى " دى فنتور " .

وفى ٩ مايو ١٧٩٨ وصل نابليون إلى طولون مع زوجته " جوزفين " فخلع سترته المدنية وأرتدى سترة القائد العام، وفى ١٩ مايو أبحر نابليون من طولون متجهاً إلى مالطة وكان أدميرال البحر الإنجليزى " نلسون " قد أسر قبل إبحار قافلة نابليون بيومين (أى فى ١٧ مايو) سفينة فرنسية صغيرة وعلم من استجواب بحارتها أن استعدادات ضخمة تجرى فى طولون لخروج حملة عسكرية كبيرة بقيادة نابليون ، ولكنه لم يستطع أن يعرف وجهة هذه الحملة العسكرية

لأنها كانت سرية ولكن نلسون إضطر إلى الانتظار دون حركة بسبب عاصفة قوية أصابت سفينته لكن سرعان ما أبحر من جديد مع أسطول يتكون من ١١ بارجة وإتجه نلسون إلى الإسكندرية - إلا أن توقف نابليون فى مالطه جعله لا يجد لنابليون أثراً .. وحاول أن يطلب من محافظ الإسكندرية أن يسمح له برسو سفنه إنتظاراً منه لمقدم نابليون وكان رد محمد كريم على نلسن :

" هذه بلاد السلطان ، وليس للفرنسيين ولاغيرهم عليها سبيل وأنه يطلب منهم الرحيل عن الإسكندرية (١)

وتفصيل ذلك أنه عندما سبق نلسن جيش نابليون إلى الشرق وإلى الإسكندرية ألقى بمراسى بعض سفنه على مقربة من شواطئها ثم بعث بعشرة من ضباطه وبعض الجنود على ظهر زورق حربى إليها " يدعى موبين " فى ٢٧ يونيو ١٧٩٨ " ليكونوا رسلاً منه حاكمها السيد محمد كريم والتقى هؤلاء بالحاكم المصرى لمدينة الإسكندرية ودار الحوار التالى :

محمد كريم : ماجاء بكم إلى هنا ؟

أجاب كبير الضباط الإنجليز المدعو الكابتن " هاردى " جئنا ننصح ونحذر .

قال الحاكم (محمد كريم) :

بماذا تنصحون ومما تحذرون ؟

رد الضابط الإنجليزى :

إن جيش بونابرت قادم إليكم ونريد أن ندافع عنكم ..

فكر محمد كريم ملياً ثم رأى أنه إن سمح لهم بالنزول إلى المدينة أعطى انجلترا حقاً ليس لها فى سبيل مجهول لايدرى ماذا يكون من أمره ، فأقبل بوجهه عليهم وقال لهم : "إن الفرنساوية غير ممكن أن يحضروا لبلادنا ولا لهم فى أرضنا شغل ولا بيننا وبينهم عداوة وهذا كلام غير ممكن أن نصدقه .. شكراً لانريد منكم أن تنزلوا بمدينتنا ولا أن تدافعوا عنا " .

(١) قال نلسون أن غاية ما يبتغيه الانجليز أن يسمح لهم بانتظار الأسطول الفرنسى خارج الميناء وأن يشتروا من المدينة بالمال مايحتاجون اليه من الزاد فلم يقتنع السيد محمد كريم بحسن نية الانجليز وامتنع عن اجابة ملتمسهم .

قال الضابط الانجليزى :

إذن فدعونا نقف على مقربة من الشاطئ ونتزود من المدينة بالمؤن والماء ، فإذا هجم عليكم نابليون تصدينا له .

أجاب محمد كريم :

هذه بلادنا وليس لكم ولا لغيركم علينا من سبيل فأذهبوا عنا(١).

وقد رجع الضابط الانجليزى إلى نلسون بعد أن خاب أمله فانسحب بسفنه إلى عرض البحر .

وخلا السيد محمد كريم إلى نفسه وأخذ يفكر فيما يحدث حوله وكان قد سمع الكثير عن نابليون وانتصاراته من التجار الفرنسيين المقيمين فى مدينة الإسكندرية .. لكنه لم يكن يتوقع منه أن يتهور فيزج بجيش فرنسى فى الشرق بما فيه من حمم خاصة وأن علاقات فرنسا بالدولة العثمانية لم تكن سيئة .

وإن كان رغم ذلك قد تنبه إلى سوء تحصينات ثغر الإسكندرية وحاول الاتصال بمراد بك فى القاهرة ... ولكن هذا لم يعط للأمر أهمية .. ومرت بضعة أيام .. وصدق ما حذر منه نلسن .

ولما أصدر بونابرت أمره لرجاله بالنزول إلى شاطئ الإسكندرية بدأت المقاومة الشعبية والتى تصدى لها فى البداية فى العلن ثم وجهها فى السر وما أن وافت الساعة ١١ من مساء الأول من يوليو حتى كان خمسة آلاف فرنسى ومعهم الجنرال بونابرت يأخذون أماكنهم على الشاطئ بخيولهم وعتادهم تغمرهم فرحة الاستيلاء على كنوز الشرق وأهله.

وكانت الإسكندرية فى ذلك الوقت ، تكاد تكون مدينة غير محصنة ، وأن سورها البالغ طوله ٧٨٩٣ متراً بما فيه من أبراج قد تطرق إليه الاهمال والتخريب فظهرت فيه ثغرات كثيرة جعلته عاجزاً عن صد أى عدو .

(١) طلب محمد كريم من نلسون وضباطه وجنوده وسفنه أن يسرعوا بالابتعاد عن المياه المصرية وإلا أطلق عليهم المدافع .. ولم تكن هذه المدافع التى هدد محمد كريم بإطلاقها إلا أربعة مدافع قديمة عفا عليها الزمان .. ولعله ليس هناك ما يكشف عن الانعزال و الجهل بأحوال الدنيا وماتطورت اليه أكثر من هذه العبارة من أن مصر أرض السلطان .. لقد كان السيد محمد كريم لا يزال يعيش فى الوهم القديم من أن ذكر اسم السلطان من شأنه أن يخلع القلوب من الرعب .. فالأسطول الانجليزى لم يرتعب ولكنه انسحب للبحث عن الفرنسيين فى أماكن أخرى .

هكذا كانت حالة الإسكندرية عندما عسكر نابليون تحت أسوارها لاقتحامها وما كاد القناصة العرب يرونه حتى إنطلقوا فى شوارع المدينة يدقون بتكبيراتهم وصيحاتهم ناقوس الكفاح ، وهب الأهالى من ديارهم إلى الشوارع كل يحمل ما ملكت يداه من –سلاح بدائى –وقرر محمد كريم محافظ المدينة ومسئول الثغر مع مشايخ المدينة عدم الاستسلام والسير فى الكفاح إلى النهاية ، ثم إنصرفوا جميعاً وفى قلوبهم عزيمة المكافح المجاهد وعلى وجوهم إصرار المقاتلين الأحرار واعتلى كل شيخ منهم مع من اجتمع لديه من المقاتلين أسوار المدينة واسطح المنازل وتحصنوا خلف الأبواب والنوافذ وقد شاركهم شرف الدفاع والكفاح النساء وعدد من الأطفال .

وتحصن محمد كريم بفرقته فى قلعة قايتباى (تلك القلعة التى نسبت الى مؤسسها السلطان المملوكى قايتباى) انتظاراً لما ستأتى به الساعة المرتقبة ، ولم ينس أن يبعث بخبر نزول الفرنسيين الإسكندرية إلى مراد بك فى القاهرة وأن يطلب منه نجدة على عجل .. وكان مع السيد محمد كريم فرقة من الفرسان لايتجاوز عددها أربعمائة ... وأسرعت الساعة فى دورانها حتى اذا بلغت الساعة العاشرة صباحاً كان نابليون يقف على ربوة عمود الصوارى (أقيم هذا العمود احتفالاً بإخماد الثورة التى أشعلها القائد الرومانى " أخيل " ضد الامبراطور " دقلديانوس " وذلك خلال القرن الـ ٣ الميلادى) .

وقف نابليون على ربوة عمود السوارى يرقب ويشاهد تلك الأسوار والحصون المتهالكة التى بناها مماليك البحر العظام امثال بيبرس وقلاوون وقايتباى . ولكن أهمل تحصينها العثمانيون ومن بعدهم البكوات المماليك وعلى رأسهم إبراهيم ومراد ... فانفرجت أسارير نابليون وفى إشارة خاطفة أصدر أمره بالهجوم وسرعان ما انطلقت نيران مدفعيته القوية المتحركة فى جهات ثلاث وأخذ الأهالى وعلى رأسهم محمد كريم يستميتون فى الدفاع ، وتداعت أسوار المدينة وتحطمت أبوابها وانساب الغزاة منطلقين ولكن سرعان ما جاءت لهم الضربات من كل جانب من أسطح المنازل ونوافذها .. انصبت عليهم كالمطر الجارف .

ودار القتال من حارة الى حارة ومن منزل الى منزل .. وكانت شدة مقاومة الأهالى من القوة بمكان جعلت الفرنسيين يفقدون الكثير من رجالهم وكاد بونابرت نفسه يصاب برصاصة قاتلة .. أطلقت عليه من إحدى النوافذ صوبها إليه رجل وزوجته واستمرا يطلقا الرصاص حتى اقتحم منزلهما فرقة من جنود الحرس فمثلو بهما أبشع تمثيل .. وظل القتال سجالاً بين الطرفين رغم الفارق فى التسليح والتنظيم والتدريب –وتحت أسوار القلعة تصارع الغزاة مع الأهالى وحماة القلعة صراعاً مخيفاً فقد فيه بونابرت بعض قواد الجيش الكبار وعلى رأسهم الجنرال " ماس " وخمسة ضباط آخرين ، كما أصيب الجنرال " مينو " بضربة حجر على أم رأسه أسقطته من أعلى السور الذى كان يشرف منه على هجوم رجاله ، كما أصيب الجنرال اسكال برصاصة من أحد أفراد المقاومة الشعبية فأصابته بجرح كبير فى ذراعه .. أما الجنرال كليبر فقد اصيب بعيار نارى فى جبهته كاد يقضى عليه .

ولما رأى الجنرال بونابرت أن خسائره تزداد ، وأنه فقد فى حوالى ساعتين أكثر من ثلثمائة ما بين قتيل وجريح –كما جاء فى مذكراته –وزادت مقاومة الأهالى شراسة بفضل تشجيع محمد كريم .. وأضطر نابليون أن يطلب وساطة كبار الأهالى من الشيوخ طالباً منهم التدخل للكف عن القتال وأن الفرنسيين ما جاءوا البلاد إلا للقضاء على مظالم المماليك .. وانطلق رسل نابليون وبعض كبار رجال المدينة يبلغون الأهالى تهديد نابليون بأنه اذا استمرت المقاومة فسوف يزداد القتل والتدمير .. فاضطر الأهالى إلى الكف عن القتال مذعنين للقوة القاهرة وانسحب العربان الذين كانوا قد انضموا اليهم مع كاشف البحيرة .

وظل السيد محمد كريم معتصماً بالقلعة مع رجاله ، وبعث إليه بونابرت يطالبه بالتسليم فأبى وظل يقاوم الطلقات بطلقات مثلها وحينما وجد أن المقاومة لا تجدى ، وأن المدينة معرضه للتدمير وأن مالديه من عتاد أضعف من أن يقاوم هذا الجيش العظيم الذى هزم الكثير من الجيوش الأوروبية .. إضطر محمد كريم إلى الكف عن القتال لقلة مامعه من الذخيرة ... وخوفاً على المدينة من

المزيد من التدمير ، وتلقاه بونابرت لقاء البطل للبطل وفى مجلس جمع مشايخ المدينة وأعيانها قال له :

" لقد أخذتك والسلاح فى يدك ، وكان لى أن أعاملك معاملة الأسير ولكنك استبسلت فى الدفاع بشجاعة ، ولما كنت أعد الشجاعة عنصراً لا ينفصل عن الشرف ، فإننى لا يسعنى إلا أن أعيد إليك سلاحك آمل أن تبدى للجمهورية الفرنسية من الإخلاص ماكنت تبديه لحكومة رديئة " .

لقد قدر بونابرت فى السيد محمد كريم روح البطولة والإقدام ، فأراد أن يستميله اليه، فأعاد اليه سيفه ولم يمسه بسوء ، ثم أمر برسم صورة له لحفظها لديه وتقبل محمد كريم عفو القائد المنتصر بشئ من الرضا ، لا حباً فى الحياة وإنما ليستطيع أن يزرع الشوك فى طريق عدوه فذاك أيسر له من أن يكون بعيداً عن مسرح الأحداث .

رواية الجبرتى عن المقاومة فى الإسكندرية بقيادة محمد كريم :

يقول الجبرتى :-

" كل ذلك وأهل البلدين يدافعون عن بلدهم وعن أنفسهم وأهلهم .. ولما أعياهم الحال ، وعلموا أنهم مأخوذون بكل حال ، وليس عندهم للقتال استعداداً أخلوا الأبراج من آلات الحرب والبارود ، طلب أهل الثغر الأمان فأمنوهم ورفعوا عنهم القتال ومن حصونهم أنزلوهم ونادى الفرنسيس بالأمان فى البلد ورفع بنديراته عليها وطلب أعيان الثغر فحضروا بين يديه ، فألزمهم بجمع السلاح وإحضاره إليهم وأن يضعوا الجوكار فى صدورهم فوق ملبوساتهم"

وقد سجل مسيو " فيفان " أحد ضباط الحملة الفرنسية ، الذى كان حاضراً هذا المجلس التأثيرات التى لاحظها على وجه السيد محمد كريم بعد إعلان العفو عنه بقوله :- " لقد لاحظت على ملامح هذا الرجل الذكاء والدهاء وكأنما كان يكتم عواطفه عنا " ودانت مدينة الإسكندرية للغزاة الفرنسيين بعد يومين من القتال وبعد أن أدى أهلها وزعيمها واجبهم فى الدفاع عنها –على قدر إمكانياتهم وعلى خير ما يكون الأداء – وقام بونابرت بدفن قتلاه حول عمود السوارى ونقش أسماءهم على قاعدة العمود .

لقد طلب نابليون من السيد محمد كريم أن يبقى فى منصبه تحت إشراف الجنرال كليبر الذى عينه نابليون حاكماً للاسكندرية والذى كان قد جرح خلال الهجوم على الإسكندرية وكان السبب فى ذلك هو إرضاء أهل الإسكندرية واستمالة محمد كريم ليضمنه إلى جانبه ، كما أن مسلك السيد محمد كريم – الذى كان محدد اقامته فى مركز القيادة كان مسلكا طيباً مما طمأن نابليون فرأى أنه من الأوفق والأفضل أن يعيده الى منصبه حتى يكون لكليبر خير سند فى حكم المدينة .

وكتب نابليون لأحد مترجمى الحملة المدعو " فيفان دينون " ليبلغ محمد كريم ذلك الوضع وقد دخل دينون على نابليون الذى أخبره بإخلاص "الحاكم المصرى" ، ورأى من الحكمة أن يحتفظ به فى المنصب الذى كان يشغله .

وكان الخطاب الذى وجهه نابليون لمحمد كريم على النحو التالى :-

إلى السيد محمد كريم

" المعسكر العام بالإسكندرية فى ١٩ "ويدور" من السنة السادسة على مرور ثورة فرنسا (٧ يوليو سنة ١٧٩٨م)

" لقد سُر القائد العام سروراً تاماً من الخطة التى سلكها محمد كريم منذ قدوم الجيش الفرنسى وإعراباً عن هذا السرور عينه فى وظيفة محافظ دائرة الإسكندرية وستصل اليه أوامره بوساطة الجنرال كليبر القومندان العام للجبهة ، وهذا لا يمنعه ان يراسل القائد العام متى شاء ، وعلى الجنرال كليبر أن يطلب منه كل ما تقتضيه مهام الجيش الفرنسى .

ورضى محمد كريم بعودته إلى منصبه لا شوقاً إليه ولا حباً فيه .. فقد كان صاحبه من قبل .. وإنما ليتخذ من موقعه القدرة والمساعدة على تنظيم كفاحه السرى الذى عزم عليه للنيل من أعداء الوطن الذين فرض عليه أن يهادنهم مؤقتاً .

لقد تذكر محمد كريم كيف أنه لم يستجيب لرغبة نابليون وندائه عندما أرسل له رسولاً قبل نزوله إلى الإسكندرية يؤمنه على مركزه ويعرض عليه البقاء فى

منصبه إذ هو ساعد الجيوش الفرنسية على النزول الى الإسكندرية .. وأنه ناضل حتى أجبر على التسليم لنقص السلاح والرجال وعدم تكافؤ القوى .

ولكن محمد كريم وضع مصلحة الوطن العليا فوق كل مصلحة ووقف أمام هؤلاء الغزاة الدخلاء معارضاً أهدافهم مناوئاً لأغراضهم .. وقف يثير الحمية فى النفوس ويشعل الوطنية فى صدور أهل الإسكندرية .. فهبوا يقفون أمام نابليون وجنوده وقفة رجل واحد يقاوموهم فى إصرار وعزم .

تذكر محمد كريم ذلك كله .. وهو يستسلم .. ورغم إعجاب نابليون به وبشجاعته إلا أن هذا البطل لم تخدعه هذه الألفاظ البراقة ، وأبى أن يترك بلاده فريسة لهذا الأجنبى الغاصب ..

لقد رضى بالعودة إلى منصبه ولكنه أبى أن يلقى سلاحه من يده وعاد يكافح على رأس مجموعة من الأحرار المجاهدين حتى قبض عليه رجال نابليون وأرسلوه الى القاهرة لمحاكمته .

الفصل الثالث

محمد كريم قائداً للكفاح الشعبى

كان شعبنا أعزل .. لا سلاح يؤيده ولا جيش يعاونه .. ومع ذلك فإن إحساسه العميق بأن الوطن وطنه والأرض أرضه .. لا أرض السلطان ولا أرض المماليك ولا أرض الغزاة كان سبباً فى استمرار نضاله .. هذا الشعور الوطنى كان يملأ قلب هذا الشعب وهو الذى جعله يدرك أن المعركة معركته وأنٌ عليه وحده عبء الكفاح والنضال ضد هؤلاء الغزاة الدخلاء .

عاد محمد كريم إلى منصبه وهو أشد كرهاً لأعداء وطنه .. فكان يبيت لياليه يحترق ألماً بما آل إليه حال المدينة .. فلقد رآها فى بؤس وشقاء منذ أن حل بها الفرنساوية وشاهد المناحات تقام فى كل بيت حزناً على الذين سقطوا صرعى فى الذود عنها وشعر بما أصاب الأهالى من الحرمان الذى لم يصابوا بمثله من قبل .. صحيح أنهم عرفوا الشدة وذاقوا مرارة الحرمان قبل هذا .. تارة على يد الاتراك وطورا على يد المماليك ، لكنهم لم يعرفوا شدة مثل التى يعانون منها الآن.. فحالة الحرب جعلت مدينتهم فى شبه حصار بحرى شل حركة السفن ، وعطل التجارة التى هى أكبر مورد لثروتهم .. فكانت البيوت خالية من الزاد والبطون خاوية ومجالس السمر وحلقات الأنس قد إنفض عنها السمار والبهجة التى كانت تزين وجوه الرجال التى انقلبت إلى عبوسة وجهامة .

وصار القوم كلهم فى شغل بأنفسهم واصبح كل فرد منطوياً على نفسه لا يعنيه شئ من يومه أو أمسه وإنما يعنيه غده وغد أولاده –إن كان هناك غد.

كان محمد كريم يرى هذا ويعيش فيه وكان يحترق بالحزن إذا اصبح يكتوى بالشدة إذا أمسى ، فبدأ يفكر فى القيام بعمل يجابه به الموقف ويخفف به وطأة العيش على قومه حتى ينتشلهم من حياة الجمود الفكرى ، واليأس المسيطر عليهم ويبعث فيهم روح الثورة على أعدائهم .

وبينما هو يقدح زناد فكره لعله يهتدى إلى وسيلة تؤدى إلى الهدف المقصود اذ حضر لزيارته أحد المترجمين من رسل الجنرال كليبر – الذين يتولون تبليغه أوامر

هذا القائد –وقد عرف منه كيف أن كليبر قد عزم على إيفاد كتيبة عسكرية بقيادة الجنرال " ديبوى " الى خارج الإسكندرية للتفتيش على الحاميات المعسكرة فى بعض قرى البحيرة .

وقد كانت زيارة هذا المترجم له ، والوقوف منه على عزم " كليبر " بمثابة المفتاح الذى فتح عليه مغاليق فكره ، فقد إهتدى فى التو إلى اتخاذ قرار يعرقل به مجهود أعداء بلاده حتى يشعرهم أن طريقهم فى الأرض ليس مفروشاً بالورود، كما يظنون وإنما هو ملئ بالاشواك والعراقيل .

وأمسى عليه الليل ، فإذا هو قد إتصل بمريديه وإذا هو قد إتفق معهم على تأليف فرق فدائية منهم للتنكيل بالفرنسيين إينما وجدوا وأصدر أوامره السرية للكتائب الفدائية بإبلاغ الأهالى باخفاء الدواب والماء والجمال عن الكتيبة الفرنسية ليعطل مهمتها التفتيشية .

وبدأ محمد كريم يبث دعوة المقاومة سراً فى نفوس مواطنيه والعربان الضاربين حول الإسكندرية ضد الجيوش الفرنسية ، وتحريضهم على الإحجام عن مدهم بأية مساعدة أو معونة وشدد المقاومة السرية عليهم فى كل مكان ونشر روح الكراهية ضدهم فيما حلوا وحيثما ساروا .

وقد ظهرت آثار هذه الدعوة ، عندما أرسل كليبر كتيبة من الجنود بقيادة الجنرال ديبوى لتجوب أنحاء مديرية البحيرة تعرج على دمنهور وتطوف برشيد ثم أبى قير وتنتهى عند الإسكندرية لتحفظ مواصلات الجيش الفرنسى وتؤمن ظهره من الإنقضاض عليه .

خرجت هذه الكتيبة من الإسكندرية يوم ١٧ يوليو عام ١٧٩٨ ولكنها لم تستطع التزود بشئ من الجمال أو دواب الحمل ، التى أخفاها أهل الإسكندرية ، وقت قيام الكتيبة ، والتى لم تلبث أن ظهرت بعد مغادرتها لها ، وكان الفضل فى ذلك الموقف الشعبى يعود لنداءات محمد كريم السرية للشعب المصرى وعربان البحيرة.

وقد لقيت الكتيبة مقاومة عنيفة كلما تقدمت فى السير حيث بلغت المقاومة ذروتها فى دمنهور حين إنقض عليها العربان من كل صوب يقومون بنهب وقتل

جنود الكتيبة ، ففقد منهم ثلاثون ما بين قتيل وجريح واضطر الجنرال "ديبوى" أمام عنف المقاومة وامام ضراوة التصدى الشعبى الى العودة الى الإسكندرية فى ٢٦ يوليو .. وقد شجعت هزيمة الجنرال " ديبوى " أهل الإسكندرية على القيام بعدة هجمات ضد الجنود الفرنسيين بجهة عامود السوارى فقتلت بعضاً منهم وجرحت البعض الآخر .

ولم يكن الفرنسيون يتوقعون هذه المقاومة بل كانوا يظنون أن الأهالى قد اخلدوا إلى السكينة واستكانوا إلى الهدوء .

وقد جاء فى تقرير الجنرال "ديبوى" الذى كتبه الى قيادة الحملة :" أنى آسف كثيراً لأنى لم أجد فى جولتى هذه مصرياً واحداً يحمل الشارة الفرنسية "(١) .

واستنتج ديبوى من جولاته أن هناك مخابرات سرية بين الإسكندرية والمدن التى مرت بها الفرق ، ولآحظ أن أهالى دمنهور كانوا على علم بقدوم الفرنسيين قبل دخولهم .. وأن الأهالى كانوا مستعدين لحربهم ومن ثم استعدوا لهذا اللقاء.

وبدأ كليبر يستقصى مع الجنرال " ديبوى" فى كيفية وصول أخبار الزحف الفرنسى على دمنهور ومن هم الذين وراءه ، ونظراً لما أبداه محمد كريم من ارتياح لما حدث للفرنسيين فى دمنهور، وابتسامة الشماتة التى كانت تبدو على وجهه والفرحة التى كانت تبدو فى تصرفاته ، اتجهت أنظار كليبر الى إمكانية أن يكون محمد كريم قد لعب دوراً خفياً فى تحذير العربان وأهل دمنهور ، وأنه هو الذى أوصل لهم معلومات خروج الكتيبة الفرنسية .. وكان كليبر يشعر بالغيرة من تنصيب محمد كريم معه شريكاً فى الحكم على مدينة الإسكندرية .. كما أنه

(١) الشارة الفرنسية كان يطلق عليها اسم الجوكار وهى عبارة عن ثلاث قطع من الجوخ أو الحرير أو غير ذلك من أنواع القماش .كل قطعة مستديرة فى شكل الريال سوداء وحمراء وبيضاء توضع بعضها فوق بعض بحيث تكون كل دائرة أقل من التى تحتها حتى تظهر الألوان الثلاثة كالدوائر المحيطة بعضها ببعض .. وهى نفس ألوان العلم الفرنسى الجديد الذى ابتدعته الثورة الفرنسية ١٧٨٩م

كان لايبدو سعيداً لإعجاب نابليون بشجاعـــة الشيخ .. إلى جانب أن كليبر كـــان يشعر أن محمد كريم يمثل رمزاً للفدائية وللمقاومة بالنسبة للشعب المصرى .

لكل ذلك أصدر كليبر أوامره بالقبض على السيد محمد كريم واعتقاله فى الباخرة الفرنسية المعروفة باسم "اورينت" أى الشرق والتى كانت إحدى قطع الإسطول الفرنسى الراسية بشواطئ الإسكندرية والمعقود لوائها للأمير "برويس" وطلب منه معاملة السيد محمد كريم ومن اعتقل معه معاملة كريمة ولعل ذلك بسبب خوفه من نابليون والسبب الثانى أنه لم يكن متأكداً من الاتهام الذى وجهه لمحمد كريم ومن معه . (١)

وكان هدف كليبر من اعتقال محمد كريم ابعاده عن الإسكندرية واخماد الروح الوطنية التى كان أهالى الإسكندرية يرونها متمثلة فيه مما يحفزهم على المقاومة والنضال .

واتصل كليبر من الإسكندرية يخبر نابليون بما حدث فى دمنهور والخسائر التى منيت بها حملة ديبوى وشكه فى أن المحرض الأول للأهالى والمبلغ لهم هو محمد كريم . فاستشاط نابليون غيظاً وحنقاً من تصرفات محمد كريم خاصة وأنه تصور أنه كان يأمل من وراء إبقاء السيد/ محمد كريم فى منصبه حاكماً

(١) ارسل كليبر رسالة الى قائد الاسطول الفرنسى برويس حول سبب اعتقال محمد كريم وبعض حاشيته :
"لقد رأيت اعوان هذا الرجل يبقون ما أبقوا آملين عودته اذا هو ظل قريباً من المدينة ، لذلك رأيت قطعاً لهذا الأمل أن أرسل به اليك لكى تعتقله فى البارجة " أورينت" Orientوواصل كليبر رساله بقوله :
" إنى لم أقصد بذلك إلا حماية الجمهورية الفرنسية " . وفى رسالة أخرى موجهة الى محمد كريم قال كليبر :
"أنى لم أقصد من ارسالكم إلى بارجة فرنسية إلا أن أمكنكم من أن تلحقوا بالقائد العام ، لأنه بعث فى طلبكم فبعثت بكم الى قومندان الاسطول الفرنسى ليسهل لكم الوصول إلى القاهرة عن طريق النيل ، فإذا ما وصلتم الى مقابلة القائد العام أمكنكم أن تثبتوا له أنكم تستحقون ما وضعه فيكم من الثقة ، وفى انتظار سفركم أرجو أن تبلغونى ما ترغبونه وسآمر بألا يمنع عنكم ماتطلبونه " . وهكذا حاول كليبر أن يفهم محمد كريم أن هذا الإجراء تم بناء على طلب بونابرت وأن القائد العام يريده بجواره فى القاهرة وذلك لينتفع ببعض مستشاريه ، وقد تلقى الاميرال برويس قومندان الأسطول الفرنسى أسيره بالاحترام وأكرم لقاءه وكتب عنه الى نابليون فى رسالته التى بعث بعث بها اليه بتاريخ ٢٦ يوليو ١٧٩٨ ولعلها كانت آخر رسالة منه قبل كارثة ابو قير البحرية " جاء فيها :"
ارسل الى الجنرال كليبر منذ ثلاثة أيام حاكم الإسكندرية الوطنى ... فأفردت له غرف كبيرة ولحاشيته ، وأنزلته نزلاً كريما وإنى أعامله بكل رعاية واحترام معتقداً بذلك أننى أحقق رغباتكم إلى أن تصدروا أوامركم فى شأنه وتبتوا فى مصيره " ..

على الإسكندرية اجتذابه إلى جانبه والإفادة من خدماته واستخدامه مطية لتنفيذ أغراضه الاستعمارية فى مصر دون أن يرى حقيقة وطنية محمد كريم الذى إمتاز بالأنفة والكبرياء والهمة العالية وصدق الإخلاص لبلده مصر .. لم يدر نابليون أن نشأة محمد كريم وتمسكه بحريته تأبى عليه التعاون مع عدو غاصب يعتدى على وطنه ويضرب الذلة والمسكنة والخنوع والخضوع على مواطنيه .. فهو لم يذعن لهؤلاء الغزاة الفاتحين إلا مرغماً ، ولكنه أضمر فى نفسه أن يوالى الجهاد والنضال ضدهم فى الخفاء وأن موقعه سوف يساعده على إحباط مكائدهم والقضاء على آمالهم فى إخضاع البلاد لسيطرتهم وجبروتهم .

تعامل الرجلان سوياً ... نابليون ومحمد كريم .. وكان لكل منها مآرب يحققها تجاه الآخر ..

وبدأ نابليون يستوعب وجهة نظر كليبر فى أن شعب دمنهور والعربان ماكانوا بقادرين على التصدى لجيش "ديبوى" إلا نتيجة لإخبارهم بسير الحملة إليهم .. كما أن نابليون شك أن محمد كريم هو الذى أمد المقاومة سراً بالسلاح وأنه كان يهيئ لهم مخابئ بعيداً عن أعين الفرنسيين .

وكان كليبر قد أرسل لنابليون ماوقع فى يده من بعض مكاتبات متبادلة بين محمد كريم ورؤساء العربان فى البحيرة وذوى الشأن فيها ، وأن ذلك هو دليله على خيانة محمد كريم وأنه جمع أعيان الإسكندرية يوم اعتقاله ، ونقل إليهم ارتياب السلطات الفرنسية فى إخلاصه للجمهورية الفرنسية ، وطالبهم بانتخاب حاكم غيره وأفاد كليبر باعتراضهم فى البداية ولكنهم أذعنوا لأمره عندما هددهم بأنهم إن لم ينتخبوا حاكماً غيره سوف يقوم كليبر بتعيين واحداً من قبله وقد لايكون على هواهم وأخطر كليبر نابليون أن الأهالى اختاروا السيد محمد الشوربجى الغريانى بدلاً من محمد كريم .

وأخطر كليبر نابليون أن الغريانى هو ضالة الفرنسيين ، وأنه أبدى استعداداً كبيراً للتعاون مع الفرنسيين خصوصاً ما تقاعس عنه محمد كريم فى تحصيل الغرامات والقروض الإجبارية على تجار الإسكندرية وأعيانها سداً لنفقات الجيش الفرنسى .

وكان محمد كريم قبل القبض عليه قد وقف مع أهالى مدينة الإسكندرية وتجارها لمناسبة وضع سلفه إجبارية فرضت عليهم لسد نفقات الجيش الفرنسى، وأن محمد كريم عارض تلك التقديرات لهذه السلفة ، ومن ثم تلكأ فى الموافقة عليها وفى مساعدة السلطة الفرنسية فى تحصيلها . فأسرها كليبر فى نفسه وأخبر نابليون بأن إبعاد محمد كريم كان هدفه القضاء على نفوذه بين الأهالى حتى يضعف أملهم فى المقاومة وأرسل نابليون إلى كليبر الرسالة التالية :

" فور اختيار محمد الغريانى حاكماً للإسكندرية من قبل أعيانها والتجار فيها.. أخبرنى السيد محمد الغريانى قبوله وظيفة المحافظ ، وأن أهالى الإسكندرية يختلفون عن سائر أهالى القطر بأنهم أصعب مراساً وأقرب إلى القلق والهياج ، وأبدى بعض استدراكات وملاحظات تخص إدارة المدينة ، فأجبته على ملاحظاته بأن الرجل الذى يتنبأ بمصاعب الوظيفة جدير بأن يعرف كيف يضطلع بها ويتغلب عليها وبذلك أقنعته بقبول المنصب " .

وكان يعاون السيد محمد الغريانى الشيخ محمد المسيرى كبير العلماء فى المدينة .. وقد جاءت أول طلبات كليبر من المحافظ الجديد .. أن يساعد فى تحصيل السلفة الإجبارية التى كان قد فرضها على تجار المدينة وعارضها السيد محمد كريم ، وتلكأ فى تحصيلها وطلب من أهالى الإسكندرية عدم دفعها .. وكانت هذه السلفة عبارة عن ثلثمائة ألف فرنك بجانب الغرامة السابق الامتناع عن تحصيلها وهى ثلاثون ألف فرنك وطلب كليبر من العزيانى جمع هذا كله من الأهالى فى ٢٤ ساعة ولو إستخدم أية وسائل غير مشروعة .

ظهرت عظمة محمد كريم فى رفضه الكثير من رغبات الفرنسيين مؤكداً أن وجود الفرنسيين ليس باختيار المصريين ومن ثم عليهم هم أن يدفعوا نفقات حملتهم .. واغتاظ الفرنسيون من موقف محمد كريم وبالذات كليبر ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً فى مواجهته لذا وجد كليبر أن من الضرورى التخلص من محمد كريم كمحافظ للإسكندرية، ووصلت كل هذه المعلومات إلى نابليون فى القاهرة ..

وقد جاء فى نهاية رسالة كليبر إلى القائد العام للحملة الفرنسية :

" آمل ألا تأمر بعودته إلى الإسكندرية خوفاً من أن يستفحل أمره ويتضاعف نفوذه بين الأهالى " .

ولقد استجاب نابليون لخطاب كليبر فأرسل إليه فى ٣٠ يوليو ١٧٩٨ رسالة يقول له فيها : " إنى لا أوافق على اعتقال محمد كريم وحسب بل إنى آمر فوق ذلك أن يعتقل كل من ساعدوه " .

وطلب نابليون من كليبر أن يرسل له محمد كريم ومعاونوه مكبلين بالحديد إلى القاهرة تمهيداً للنظر فى أمرهم أمام محكمة عسكرية بتهمة الخيانة .

وفى اليوم نفسه الذى أعتقل فيه محمد كريم أصدر الجنرال كليبر منشوراً عسكرياً يعلن فيه استياءه من سلوك أهل الإسكندرية ، وأمر أن يقوم أهالى الإسكندرية على اختلاف أجناسهم بتسليم أسلحتهم إلى قومندان الموقع الذى يسكنون فيه وهدد بأن من يتأخر منهم عن تنفيذ هذا الأمر بعد ثمان وأربعين ساعة من نشره ، فإن جزاءه الإعدام ، وزاد فوق ذلك منشوره بأن من قتل أى جندى فرنسى سوف يهدم منزله ويعتقل مقابله خمسون شخصاً يؤخذون فى صورة رهائن إلى أن يظهر القاتل .

ولقد أخلد الأهالى فى الإسكندرية إلى السكينه .. بعد اعتقال السيد محمد كريم ظناً منهم أن ذلك سوف يجعل الفرنسيين غير قساه معه ، وكفوا عن المظاهرات العدائية التى كانت تبدو منهم تجاه المحتل الأجنبى مما دعا الجنرال كليبر أن يكتب إلى نابليون فى القاهرة :

" تسود السكينة مدينة الإسكندرية بعد اعتقال محمد كريم ، ولم تعد تنتشر إشاعات السوء المقلقة للخواطر والمثيرة لروح الهياج وأقبل كل إنسان على عمله فى هدوء" .

ومن الجدير بالذكر هنا أن ورود الأخبار بانتصار نابليون فى معركة إمبابة أو الأهرام التى سحق فيها المماليك ودخوله بعدها القاهرة ظافراً كانت من الأسباب التى جعلت أهالى الإسكندرية يخلدون مؤقتاً إلى الهدوء .

المهم أن نابليون أمر كليبر بإرسال محمد كريم ومعه خمسين من المؤيدين له

وذلك على ظهر إحدى السفن الفرنسية الحربية إلى رشيد فى ٣٠ يوليو ١٧٩٨ ليرسل منها إلى القاهرة .

وأمر نابليون فى رسالة إلى كليبر أن يقوم بتفتيش منزل محمد كريم بحثاً عن أى أموال كانوا يعتقدون أنه يخفيها فى بئر منزله ، وهناك عثروا على دفاتر بها إحصاء بجميع أمواله وممتلكاته .

وعند مرور السفينة الحربية الفرنسية برشيد استقبله الأهالى بمظاهرة حب وترحيب حيوا فيها وطنية الرجل .. ولم يسع الجنرال مينو حاكم رشيد إلا أن يسرع بإرساله إلى القاهرة خشية تألب أهالى رشيد على الفرنسيين والقيام بثورة ضدهم .

وقبل أن ندخل فى تفاصيل محاكمة محمد كريم علينا أن نذكر صفحة مضيئة من خلال تحالفه مع أحد الأبطال المصريين الذين قاموا بدور رائع فى مقاومة الحملة الفرنسية تحت إرشاده وتوجيهاته .

ونقصد بها ذلك التحالف الذى كان بين الزعيم محمد كريم وبين البطل الشعبى حسن طوبار فى منطقة البحر الصغير الواقعة بين المنصورة وبحيرة المنزله ، وحسن طوبار قد لا يعرفه الكثيرون من أجيالنا الحالية .. ولكنه كان البطل الذى أذاق جيش نابليون الكثير من الويلات وظهر ذلك واضحاً فى مذكرات قواده وفى رسائل بونابرت كرمز للمقاومة الشعبية الباسله التى لقيها الفرنسيون على يد حسن طوبار .

وكانت جهة البحر الصغير تغلى بالثورة ضد الفرنسيين وشعارها الفتك بجنود فرنسا الغزاة المستعمرين ، واهتم نابليون بهذه المنطقة الثائرة وأرسل لها أفضل قواده الميدانيين لتأديبها وكسر شوكة المقاومة فيها .

كان حسن طوبار زعيماً لمنطقة المنزلة وكانت له الزعامة أيضاً على سكان شواطئ هذه البحيرة لأنه كان يمتلك أسطولاً كبيراً من مراكب الصيد ، ولم تكد تبدأ حملة بونابرت على هذه المنطقة حتى إتصل محمد كريم بالشيخ حسن طوبار الذى إتصل بدوره بمشايخ القرى وأهلها وراح ينظم صفوفهم ويثير الحمية فى

صدورهم ويحرك فيهم روح الوطنية المتأصلة فى أعماق قلوبهم حتى استطاع أن يستفزهم للمقاومة والصمود ، أمام هذا العدو الدخيل المستعمر ..

وحاول الفرنسيون أن يجتذبوه لصفوفهم .. فما ضعف ومالان ، فاضطر الفرنسيون أن يرهبوه ويرهبوا رجاله ، فتحركت حملتهم واتجهت إلى بلدة الجمالية فى هذه المنطقة عن طريق البحر .

وما أن وصل الفرنسيون بمحاذاتها حتى حلت سفنهم فى بحر أشمون من قلة المياه فيه فأنتهزت المقاومة الشعبية هذه الفرصة وراحت تمطرهم وابلاً من الرصاص والأحجار .

ونشبت معركة عنيفة دامت خمس ساعات ، انتهت بنصر الشعب المصرى وانسحب الفرنسيون ، ولكن بعد أن تمكنوا من اشعال النار فى هذه البلده وأحراقها .. وكان النصر على الفرنسيين له صدى كبير فى نفوس الشعب فزاد التفافاً حول حسن طوبار الذى كان يعتبر محمد كريم أستاذه فى الوطنية والمقاومة الشعبية .

واستمرت المقاومة ضد الفرنسيين بقيادة حسن طوبار .. وقد حاول الجنرال " فيال " بعد ذلك أن يجتذب إليه حسن طوبار مرة ثانية .. ولكن هذا الرجل الكبير الذى كان يستلهم روح المقاومة من سيرة محمد كريم وصموده أمام الفرنسيين .. رفض حسن طوبار مساومة الجنرال الفرنسى له وقال له :

لا جميل القول يغرينا
ولا رنين المال يطوينا
ولا وعيد الحرم يثنينا

فحاول الفرنسيون القبض عليه بمعاونة بعض الأهالى الذين حاول الفرنسيون إغراءهم ولكنهم نسوا أن الشعب متضامن متعاون معه يشد بعضه بعضاً كالبنيان المرصوص ، لذلك لم يجدوا من أفراد الشعب من يدلهم على مكان " حسن طوبار " أو من يدلى بأية بيانات تعينهم على ذلك .. وزاد اندلاع الثورة وحدة المقاومة بعد علم الشعب بصدور الحكم على محمد كريم بالإعدام .

وامتدت ثورة المصريين إلى دمياط ، فقرر حسن طوبار أن ينتقل بمراكبه وجنوده والمشايعين له لمواجهة الفرنسيين .

وفى ليلة ١٦ من سبتمبر سنة ١٧٩٨ تحركت أهالى البلاد المجاورة لدمياط ، وتحركت سفن حسن طوبار تشق طريقها نحو بحيرة المنزلة قاصدة شواطئ دمياط ،وهناك التقى الفلاحون القادمون من القرى بالشعب الثائر الهابط من سفن الصيد وكانوا مسلحين بالرماح والبنادق وتوجه الجميع قاصدين دمياط للإشتباك مع الفرنسيين الرابطين هناك .

وأبتدأ القتال فكان أول ضحاياه الجنود الفرنسيون المرابطون فى المواقع الأمامية للمدينة ، واستمر زحف الشعب الذى اشتبك مع قوات فرنسا فأدبها خير تأديب وأعطاها هذا الشعب الأعزل درساً لاتنساه .

وأضطر الفرنسيون لطلب النجدة فجاءت لهم من كل مكان فتحول بذلك موقفهم من الدفاع إلى الهجوم ودارت معركة وحشية بين الفريقين قتل فيها من الجانبين عدد غير قليل واضطر المصريون للتراجع لعدم تكافؤ السلاح ، وتحصنوا بقرية الشعراء جنوب دمياط .. وقام أهالى عزبه البرج بالإعتداء على الحامية الفرنسية بها وهى قرية من قرى دمياط .. وجن جنون الجنرال فيال وفقد أعصابه وأمر جنوده ، باقتحام القرى المجاورة وقتل كل من فيها من نساء ورجال .. وبرغم تلك الفظائع لم تهدأ ثائرة حسن طوبار فظل يواصل دوره الرائع فى تنظيم المقاومة الشعبية .. وجمع نابليون قواده وأدرك أنه لاخلاص من الثورات المتعددة فى القرى والمدن إلا بالتخلص من حسن طوبار والقضاء على نفوذه ، وأرسل نابليون حملتين للقضاء عليه أحداهما بحرية والثانية برية حتى انتهى الأمر بشهادته .

لقد كان محمد كريم هو الرمز الذى التفت حوله المقاومة بدءاً من الإسكندرية وضواحيها والثغور المجاورة لها ، وسيخلد تاريخ المقاومة الشعبية الدور الذى قام به حسن طوبار جنباً إلى جنب مع الدور الذى قام به محمد كريم كأستاذ له فى الوطنية والحرب الثورية والمقاومة الشعبية .

الفصل الرابع

محاكمة محمد كريم واستشهاده

" الاستشهاد فى سبيل الوطن جسر تعبر عليه الإنسانية لكى تمضى فى سيرها نحو طريق الحرية .. وهو القمة العليا التى تصل إليها الشعوب المغلوبة على أمرها بعد أن تكون قد صعدت جبلاً من الآلام والقيود والحرمان " .

ومن المصادفات الغريبة أن محمد كريم لو تأخر وصوله إلى القاهرة ولو كان قد ظل على الباخرة الفرنسية " أورينت " (الشرق) التى كان معتقلاً بها لمات غريقاً حيث غرقت الباخرة بعد رحيله عنها بيومين ضمن بقية سفن الأسطول الفرنسى الذى أنقض عليه الأسطول الإنجليزى بقيادة أمير البحر " نلسن " فحطمه فى موقعة أبى قير البحرية فى أول أغسطس سنة ١٧٩٨ م عن آخره .

كان قدره أن يرحل للقاهرة لتزهق روحه رمياً بالرصاص على يد الجلادين أنفسهم .. وقد أرسل نابليون برسالتين فى شأن السيد محمد كريم الأولى موجهة إلى الأميرال " برويس " حوت مجموعة من التعليمات حول الإجراءات التى يجب أن تتخذ ضد محمد كريم بعد أن تأكدت له خيانته من خلال رسائله فى قصر الجيزة التى كان قد أرسلها إلى مراد بك يستنجد به لمقاومة الفرنسيين.

وكان من ضمن هذه الرسائل تلك الرسالة التى أرسلها محمد كريم إلى مراد بك بالقاهرة حيث جاء فيها " فى العشية السابقة " على رسو الأسطول الفرنسى فى ميناء الإسكندرية " إن العمارة التى حضرت مراكب عديدة مالها أول يعرف ولا آخر يوصف .. لله ورسوله أدركونا بالرجال "

وأوفد السيد محمد كريم لا يقل عن ثلاثة عشر رسولاً إلى القاهرة خلال الليل وهو خائف من الفرنسيين بقدر خوفهم مما ينتظرهم من أخطار ومشاق " .

تلك الرسائل هى التى اتخذها نابليون دليلاً وقرينة على خيانة محمد كريم للجمهورية الفرنسية .

وطلب نابليون فى رسالته إلى برويس شدة مراقبة محمد كريم ومن معه حتى لايهربوا من السفينة .

أما الرسالة الثانية فقد كانت مرسلة إلى كليبر وتكاد تشابه الرسالة الأولى ولكن زاد عليها بأن نابليون علم أن محمد كريم يحوز أموالاً كثيرة مخبأة داخل بئر مطمورة وأن لديه سجلاً خاصاً أثبت فيه جميع ما يمتلك من مال وعقار وأن بعض خدم محمد كريم يعرفون مقدار هذه الثروة ، وطلب منه أن يقوم باعتقال هؤلاء الخدم واستجوابهم وتهديدهم إن لم يدلوه على مكان البئر ، ويسلموا مايكون لديهم من الوثائق الخاصة بسيدهم (١) .

وقد أمر نابليون كليبر بأن يقوم بتحصيل مبلغ ثلاثمائة ألف فرنك من السيد محمد كريم فى مدى ثمانية أيام ، وإذا امتنع السيد محمد كريم عن دفع المبلغ أو إذا لم يدفع على الأقل ثلثه فى مدة خمسة أيام ، فعلى الجنرال كليبر أن يأمر بقتله رمياً بالرصاص .

وماكاد زورق الكابتن جوليان ينساب على صفحة النيل فى طريقه إلى الإسكندرية حاملاً معه الرسالتين إلى برويس وكليبر حتى فوجئ جوليان بالوقوع فى كمين أعده له الفدائيون ، فقتل فيه شر قتله وقد قتله أهالى قرية علقام (مركز كوم حمادة الآن).

ظل محمد كريم ضيفاً على الأميرال برويس حتى يوم ٣٠ من يوليو سنة ١٧٩٩م ، وقد لاقى طيلة ضيافته كل تبجيل واحترام لما لمسه منه من علو الهمة وكبر النفس .. ولكن محمد كريم بالرغم من تلك المعاملة الحسنة التى كان يلقاها الزعيم من ضباط البارجة وقائدهم فإنه ضاق ذرعاً بهذا الاعتقال وهذه الحياة الجامدة التى ما أرادها لنفسه .

وإضطر " برويس " تحت الحاح بونابرت إلى أن يبعث بالشيخ محمد كريم إلى

(١) قبل وصول هذه الرسالة إلى كليبر ، كان " الجنرال كليبر" قد شكل لجنة لجرد أملاك السيد محمد كريم وقام باعتقال عم السيد محمد وشقيقه ، ويهودياً كان موضع ثقة محمد كريم ، وقد قام كليبر باستجواب الشقيقين وهددهما بالأعدام ، أن لم يبوحا له بموضع أموال الزعيم .. ولكنهما لم يعترفا مما أغاظ كليبر وزاده حنقاً على الشيخ محمد كريم ، إلا أن اليهودى خاف من التعذيب فاعترف بكل شئ .

رشيد فى التاريخ المذكور (٣٠ يوليو ١٧٩٨م) ومعه خطاب إلى الجنرال مينو حاكم المدينة بخصوصه .

قال برويس فى خطابه إلى مينو :

" انى لم أستطع أن أرفض رجاءه المتكرر البالغ نهاية التلطف ، وأرجوكم إذا نزل برشيد أن تعاملوه باحترام " .

وماكاد محمد كريم يهبط مدينة رشيد ، حتى شاع ذكر قدومه فى أنحاء المدينة وماحولها من قرى ، وهرعت الألوف لمشاهدته والسلام عليه .. هاتفة ببطولته وزعامته منادية .. الموت للإفرنج .. وطافوا فى أنحاء المدينة إلى أن وصل إلى قصر الحاكم المغتصب .

وانتاب الجنرال مينو وقواد الحامية ، موجة من الرعب ، وخافوا استفحال هذا الأمر .. فقرروا فى الحال التخلص من هذا الزعيم الذى رأوا فى وجوده بينهم نذيراً بزوالهم وفنائهم جميعاً .

ومن ثم قرر الجنرال مينو وأركان حربه أن يبعثوا بمحمد كريم إلى القاهرة وليكن ذلك عند مطلع شمس اليوم الرابع الذى حل فيه بينهم لتشتيت شمل أنصاره حفاظاً على حياتهم هم وليس حياة محمد كريم ..

أرسل محمد كريم إلى القاهرة مخفوراً بقوة كافية حيث ركب إحدى السفن الفرنسية فى طريقه إلى القاهرة وقد أرسل مينو رسالة للجنرال بونابرت يقول فيها :

" إن السيد محمد كريم حضر إلى رشيد يوم ٣٠ يوليو فحدثت حركة كبيرة فى المدينة للحفاوة به وتهنئته بوصوله وحيال هذه المظاهرات رأيت القبض عليه وإرساله إلى القاهرة خوفاً من استفحال أمره " .

وشقت السفينة بأسيرها العظيم صفحة النيل بسرعة سريعة إلى أن حطت مرساها على شاطئ بولاق فى عصر اليوم الثانى عشر من شهر أغسطس ، وغادر محمد كريم السفينة إلى معتقله بعد غروب الشمس حتى لايسود القاهرة الاضطراب والقلاقل بظهوره للشعب وهو بين آسريه .

وظل بالمعتقل عدة أيام فى انتظار محاكمته بناء على التعليمات التى وصلت الى القيادة العامة من بونابرت .

تشكيل المحكمة وبداية عملها

شكلت المحكمة العسكرية لمحاكمة محمد كريم برئاسة الجنرال "ديبوى" حاكم القاهرة وانعقدت الجلسة فى معسكر القيادة العامة ومعه مجموعة من الضباط الأقل مرتبة يصل عددهم إلى أربعة توسطهم "ديبوى" ببزته العسكرية ذات الألوان الزرقاء والأشرطة الحمراء وقد وضع على صدره النياشين التى أحرزها فى ميادين القتال .

وكان الجنرال وأعضاء المحكمة يحملون وجهاً واحداً .. صورة طبق الأصل من وجه قائدهم (بونابرت) ذى السرعة التقليدية والنظرة النفاذة ، وكانوا فى جلستهم يميلون إلى الأمام وقد ارتكزوا بذقونهم على أيديهم ، وعبست وجوههم فى اهتمام وثقة بالنفس .. وكانوا يمثلون سلطة المعتدين ويجلسون بغرور يمثل قوة المغتصبين .

وعين المستشرق الفرنسى " فانتور " مترجماً بين هيئة المحكمة ومحمد كريم وعلى بُعد قليل من المنصة التى يجلس عليها أعضاء المحكمة جلس السيد محمد كريم فى وقاره المعهود يحرسه مجموعة من الجنود والضباط من حملة البنادق ذات السناكى المثبتة فى أعلاها .

كان محمد كريم يجلس ثابت الجنان وفى يده سبحته الطويلة .. يلبس عمامة كبيرة وله لحية طويلة تبعث الهيبة فى النفوس وتفرض على الناظر إليه الإعجاب والتقدير .

ونادى حاجب المحكمة باللغة الفرنسية (فتحت الجلسة) وبدأ فى استجواب الزعيم محمد كريم .

وسأله الجنرال ديبوى:-

- لقد أثبت التحقيق أنك خائن ولست أهلاً للثقة التى منحها لك القائد العام ، وأنك حرضت الناس وأهل البحيرة على الثورة ضد الجمهورية .
- ورد محمد كريم فى هدوء وثقة :
- إن هذه الجمهورية هى التى خانت مبادئها .. اغتصبت وطنى .. وقتلت

الناس بلا شفقة ولا رحمة ، لا لذنب سوى أنهم يدافعون عن بلادهم ونسائهم وأموالهم .

ثم استطرد قائلاً :

لقد حطمتم سجنكم الرهيب (الباستيل) فى ١٤ يوليو ١٧٨٩ وانقذتم أنفسكم من طغيان ملوككم واعلنتموها ثورة على الظالمين ثم ناديتم بشعاركم حرية ومساواة وإخاء، ولكنكم سرعان ماتنكرتم لهذا الشعار ونسيتم ماقمتم من أجله عندما دان لكم النصر ، وتملكتكم شهوة الطمع والاغتصاب ، فانطلقتم من بلادكم تسفكون دماء الشعوب وتنهبون خيراتها وتصادرون حرياتها وتغتصبون حقوقها وحرياتها وأصبح شعاركم " الموت للشعوب والحياة لفرنسا وحدها " .

وذهل الحاضرون من بلاغة الشيخ خاصة وأنه حذر المترجم الفرنسى بضرورة الأمانة فى نقل كل كلماته ، فكان لوقعها أثر الصاعقة وبان الغضب على وجه الجنرال ديبوى ، وزاد اهتمام زملائه(أعضاء المحكمة) ومالوا إلى الامام فى مقاعدهم أكثر من ذى قبل ، وبدأ كل منهم يتفرس فى وجه الزعيم محمد كريم بنظرات ملؤها الدهشة والاستغراب .

ثم ساد القاعة صمت رهيب وبعد لحظة قال الجنرال " ديبوى" إنك بموقفك هذا تقود نفسك إلى الإعدام .

فرد عليه محمد كريم فى جرأة قائلاً :-

إذا كان دفاعى عن بلادى وقول الحق سيقودنى إلى الإعدام فمرحباً به ، فالموت حق والاستشهاد فى سبيل الوطن غاية الشعوب الحرة التى تأبى الظلم وترفض الاستعباد.. وإن كان قيامى بتحريض الشعب عليكم يعد خيانة منى ، فما أعظمها خيانة ، مادامت ستحرر مصر من قبضتكم وسيطرتكم الغاشمة " .. ثم هبَ واقفاً فى عصبية ظاهرة وقال :

إن ايماننا بالله يفرض علينا أن نحب وطننا ونضحى فى سبيل اسعاده ، وتطهيره من الغاصبين بدمائنا وأرواحنا ، فحب الوطن من الإيمان ، كما قال نبينا صلوات الله وسلامه عليه ، وان ماقمت به ضدكم هو تنفيذ لتعاليم ديننا الحنيف،

وأنكم اليوم بمحاكمتكم تسجلون على انفسكم فى صفحات التاريخ أنكم قتلة سفاحون ، وان شعاركم الذى ناديتم به يوم ثورتكم ماكان إلا ستاراً زائفاً تخفون وراءه نياتكم الشريرة وأطماعكم نحو الشعوب الآمنة المطمئنة ."

ولم يلبث صوته أن ارتفع أكثر فأكثر غير مبالياً بجلاديه وهو يلوح بيده فى وجوههم ويقول :-

ستؤكدون للعالم بموقفكم هذا ولمحاكمتكم لى ، أننا شعب عظيم ننشد الحرية ونضحى فى سبيلها بالنفس والنفيس وسيخلد التاريخ إسمى وأسماء المجاهدين من بعدى .

وعندما انتهى السيد محمد كريم من كلامه والذى أدى إلى احتقان وجوه أعضاء المحكمة بأكملها ، مد الجنرال ديبوى يده الى محفظة من الأوراق أمامه وانتزع منها فى غضب رسالة لوح بها فى وجه الزعيم محمد كريم وقال له :-

" لقد عثرنا على هذه الرسالة فى قصر مراد بك وهى بخط يدك ، وفيها تحرضه علينا وتطلب منه المساعدة لقتالنا .. وإنها لإثبات قوى ضدك وقرينة لا تقبل النقاش ودليل قوى ضدك على خيانة الجمهورية الفرنسية" .

ورد محمد كريم على رئيس المحكمة فى تحد بالغ :-

نعم إنها رسالتى وقد كتبتها بخط يدى استغيث به لقتالكم وطردكم من بلادى ، وإن دفاعى ضدكم يوم نزلتم إلى بلدى يبرهن لكم على أننى لا أقيم وزنا لحياتى ، وإذا كنت آسف على شىء فليس أسفى أننى لم أنجح فى مقاومتكم ، بل لأننى أعتمدت على هذا المملوك المغرور الذى لولا غروره وجهله .. لما كنت اليوم ملقيا بين أيديكم .

وانفضت الجلسة الأولى ثم تأجلت المحاكمة إلى اليوم التالى حيث كانت تدور بين الشيخ محمد كريم وهيئة المحكمة الكثير من المناقشات وكلها تدور حول محور واحد .. محاولة من جانب المحكمة لكى يعترف بذنبه وجريمته .. وهو يواجههم بأن ما يفعله شرف له ... بل وتحدى المحكمة بأنه لن يكف عن مقاومه الوجود الفرنسى فى مصر مهما طال به العمر .. مما زاد حنق المحكمة عليه وفى آخر جلسات المحاكمة قال محمد كريم :

" ستؤكدون للعالم بموقفكم هذا وبمحاكمتكم لى أنكم ظلمة .. كما تثبتون أننا أمة تبغى الحرية وتضحى فى سبيلها لكل ماتملك وسوف ، يخلد التاريخ إسم كل مجاهد رفع سلاحاً ضد أعداء الحرية من أجل الحفاظ على حرية وطنهم .

لقد كان الحوار بين الضحية والجلاد درساً من دروس التاريخ من أجل حماية حق المضطهدين فى مواجهة الغزاة المغتصبين .

ورفع الأمر إلى الجنرال بونابرت ليتجه بما يراه إلى هيئة المحكمة .. ولم يسع نابليون إلا أن أوحى إلى المجلس العسكرى الذى شكل لمحاكمته أن يحكم عليه بالقتل رميا بالرصاص ، مع مصادرة أمواله وأملاكه ، على أن يكون له الحق فى افتداء نفسه بثلاثين ألف ريال .. وكان أن نفذ المجلس العسكرى قرارات بونابرت ، ولكن محمد كريم عندما سمع الحكم عليه قال لقضاته الفرنسيين :-

" لحظة أيها القوم ، أما حياتى فلست متمسكاً بها ، ولا حريصاً عليها فهى منتهية فى وقتها المحدد لها .. وقد قال كتابنا العزيز :-

" قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا " ، وقال قرآننا المجيد " فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون " صدق الله العظيم

وواصل محمد كريم أقواله :-

" أما أموالى فلتعلموا أننى ما ادخرتها لأشترى بها رحمتكم وأفتدى بها نفسى من الموت على أيديكم .. ولكننى أعددتها لحربكم وتنغيصكم إذا قدر لى أن أعيش ... وإذا مت فسيحمل علم الجهاد من بعدى .. أيد فتية ونفوس مخلصة ستجدون منها الأهوال وستخرجون على أيديهم من بلادنا أذلاء مهزومين .. إن عاجلاً أو آجلاً .

وقد صدق السيد محمد كريم فيما قاله فى أعقاب الحكم الذى صدر عليه بعد جلسة محاكمة هزلية كان القضاه فيها هم الخصوم وكان الأعداء هم الجلادون وكان المغتصب هو الذى أتهمه بالخيانة .

ذهب شعب مصر يدافع عن وطنه فى ثورة عنيفة بعد شهر واحد من إعدام محمد كريم هى التى عرفت باسم " ثورة القاهرة الأولى " .. قامت فى وجه

بونابرت فى ٥ أكتوبر سنة ١٧٩٨ وكان ضمن أسبابها الرئيسية الحكم بإعدام محمد كريم من جانب الحملة الفرنسية .

وقد أكد المؤرخون أن أكبر أخطاء نابليون هو إصداره الحكم بإعدام السيد محمد كريم فى السادس من سبتمبر سنة ١٧٩٨ لأنه ، أى نابليون ، خان مبادىء الحرية والدفاع عن شرف الوطنية .

ولكن هل جزع محمد كريم لسماع الحكم عليه .. لا وإنما أظهر جلداً وثباتاً ولم يقبل أن يساوم على نفسه وروحه .. ومرت الساعات سريعة متلاحقة حتى أصبحت على وشك الإنتهاء من الموعد المضروب .

ولم يلبث المترجم " فانتور " أن طرق باب المعتقل الذى يوجد فيه محمد كريم وطالبه بقبول دفع الفدية قبل مرور الـ ٢٤ ساعة المحددة مؤكداً له أن بونابرت وهيئة المحكمة مصممة على تنفيذ الحكم بلا أدنى تأخير .

قال فانتور لمحمد كريم :-

" إنك رجل غنى ، فماذا يضيرك أن تفتدى نفسك بهذا المبلغ ... "

فرد عليه محمد كريم فى إباء وشمم بقوله :-

" إذا كان مقدوراً على أن أموت فلا يعصمنى من الموت أن أدفع هذا المبلغ .. وإذا كان مقدراً لى الحياة فعلام أدفعه (١)

وعلم نابليون أن محمد كريم لن تلين قناته وأنه فهم لعبته التى كانت تعنى أنه فضل فدية نفسه على الشهادة بروحه فى سبيل وطنه مما يجعله يحظى باحتقار شعبه له .

هنا أصدر بونابرت تنفيذ حكم الإعدام فوراً .

(١) حاول مع محمد كريم مرة أخرى القنصل الفرنسى ماجلون " Magallon " والذى كان يجيد اللغة العربية .. حيث زاره فى المعتقل محاولا إقناعه بافتداء نفسه ولكن محمد كريم ظل ثابتا على موقفه حريصا على الشهادة باذلا حياته فى سبيل وطنه .

استشهاد البطل فى ٦ من سبتمبر ١٧٩٨

كان السيد محمد كريم عزيز النفس قوى الإيمان بالله .. لا يهاب الموت ، ويطيب له أن يقدم نفسه فداء لوطنه ضارباً بالوطنية مثلا حيا فى التضحية والفداء مستحثاً إياهم على الصمود فى وجه المستعمر ، ومقاومة جبروته وطغيانه مستهيناً بما سيلقاه فى سبيل وطنه من عنف وبغى .

رفض بكل إباء وشمم أن يفتدى نفسه بالمال ورحب بالموت .. وفى اليوم المحدد اقتيد محمد كريم إلى ساحة الرميلة فى القلعة حيث نفذ فيه حكم الإعدام ، وقال الجبرتى يصف مشهد إعدام الشهيد محمد كريم :-

فلما كان قرب الظهر ، وقد إنقضى الأجل .. أركبوه حماراً ، وأحاط به عدد من العسكر وبأيديهم السيوف المسلولة ويتقدمهم طبل يضربون عليها وشقوا به الصليبية إلى أن ذهبوا إلى الرميلة ، وقاموا بقيده –وكتفوه وربطوه مشبوحاً ، وضربوا عليه بالبنادق كعادتهم فيمن يقتلونه ، ثم قطعوا رأسه ورفعوه على نبوت وطافوا به جهات الرميلة والمنادى يقول :" هذا جزاء من يخالف الفرنسيس " (١) كانت آخر كلماته قبل إطلاق الرصاص عليه من جانب الفرنسيين موجهة للمصريين وهى : " كونوا مثلا للتضحية والفداء .. اصمدوا فى وجه المستعمر وقاوموا جبروته وطغيانه مهما كان العنف والعناء" .

ولم يلبث أتباعه الذين كانوا قد إلتفوا حول الساحة أن تجمعوا مهللين الله أكبر فاخذوا رأسه ودفنوه مع جثته وذلك يوم الخميس ١٥ ربيع الأول الموافق ٦ من سبتمبر ١٧٩٨ م .

حمل مريدوه جثة الشهيد ودفنوها بإحدى الترب التى كانت موجودة خلف جامع المحمودية بالقلعة .. والكل بين وجوم وحزن وألم دفين... ولكن الجميع كان على يقين أن شخصه البطولى أصبح فى ذاكرة المصريين مثالا حياً على المقاومة من أجل الحرية .

(١) كان أمر نابليون بالطواف برأس محمد كريم فى شوارع القاهرة إرهابا للمواطنين وشفاءً لما فى صدره من غل على محمد كريم

فقد طواه القبر ومضى جسماً ليعيش مع الألقاب مسطوراً على كل قلب ولسان ، وهناك قول بأن رأس الشهيد دفنت فى المنطقة الواقعة بين المكس والقبارى على طريق السكة الحديدية بجوار فرق الجراية .. حيث أطلق عليه الأهالى مقام " سيدى كريم " .

لقد أعتبر " تيبودو" أحد كتاب فرنسا اللامعين – بعد أكثر من ربع قرن أن إعدام محمد كريم جريمة بشعة وقاسية ما كان لبونابرت أن يقدم عليها وقال فى ذلك :-

" إن إعدام هذا الشريف هو أول عمل من التصرفات العدة التى وجهت فيها التهم إلى نابليون فى أثناء حملته على مصر .. لأن النفوس الحساسة تأثرت للخاتمة التى إنتهت بها حياة هذا الشريف النزية الذى أُعدم بأمر القائد العام .. على أن الجنرال كليبر كان أول من أقتنع بخيانته للجمهورية وهو الذى قبض عليه واتهمه لدى بونابرت .. وذلك لغيرة كليبر من مشاركته سلطانه ... ولأنه وقف ضد رغباته بالإضافة إلى أن نابليون ظن أنه بالقضاء عليه سيقضى على المقاومة الشعبية التى تواجهه فى مصر كلها .

لقد كان محمد كريم لا يهاب الموت ولا يخشى أن يفتدى وطنه ولو بالتضحية بحياته .. ورحب بالموت رافضاً أى محاولة إغراء لافتداء نفسه إلى درجة أنه قيل عندما رفض دفع مبلغ الفدية من أمواله .. حاول بعض مريديه إقناعه بأنه من الممكن أن يجمعوا له المبلغ قبل المهلة المحددة ولكنه رفض ذلك بإباء وشمم .

ودل تنفيذ الحكم على عدم تحضر الفرنسيين وزيف إيمانهم بحرية الشعوب إلى جانب التشفى البربرى منه حيث لم يكتفوا باعدامه بالرصاص ، بل قاموا بقطع رأسه ورفعوها على نبوت مما يدل على وحشيتهم .

لقد تقدم السيد محمد كريم إلى الموت غير هياب ورفض أن يضع غطاءً على عينيه .. بل كانت نظراته ساخرة ممن أطلقوا عليه الرصاص وكأنه كان يقول لهم .. " غدا سيبرئنى التاريخ ويكتب اسمى فى سجل الشرف من أجل الدفاع عن حرية وطنى .. وأنتم ستكونون ممن يلعنكم كل الشرفاء ... "

وقف أمام جلاديه بقامته المشوقة مرفوع الهمة قوى القلب ، ثابت الجنان ورأى أن تكون آخر كلماته تحفيزاً للمصريين على مواصلة النضال ومتابعة الكفاح ضد أى مغتصب تسول له نفسه الاستيلاء على أرض الوطن .

وقد انتقمت له عدالة السماء بعد شهر وآحد من رئيس المحكمة الذى أصدر حكم الإعدام عليه ، ونقصد به الجنرال ديبوى الذى قتله ثوار ٥ أكتوبر ١٧٩٨ م فيما عرف باسم "ثورة القاهرة الأولى" ضد الحملة الفرنسية فى مصر .

أسلم السيد محمد كريم روحه إلى بارئها مدللا على بغى الفرنسيين وظلم أى مستعمر يهاجم الشعوب فى عقر دارهم لينهب أموالهم ويبتز ثرواتهم .. فإن اعترضوا وناضلوا وقاموا كان جزاؤهم الموت .

لقد ضرب محمد كريم أروع أمثلة التضحية والوفاء والانتماء والعطاء لوطنه وكان شجاعاً مقداماً ... لكن للأسف الشديد لم يحظ بأى تكريم من مصر الملكية إلى أن جاءت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ورأى ثوار يوليو فيه مثلا أعلى للوطنية ومن ثم لم يبخلوا عليه بالتكريم .

تكريم الدولة لمحمد كريم

بعد ما يقرب من مائه وخمسين عاماً وعلى وجه التحديد عام ١٩٥٣ م وضعت لأول مرة صورة السيد محمد كريم ضمن صور محافظى الثغر فى دار محافظة الإسكندرية تخليداً لذكراه ... وأطلق أسمه على شارع من أهم شوارع الإسكندرية وهو شارع التتويج والذى أصبح يعرف باسم شارع محمد كريم .

كما أطلق أسمه على المسجد الذى يحمل إسمه الآن والكائن بجوار سراى رأس التين وكان هذا المسجد قد بُنى خصيصا داخل أسوار القصر ليحمل أسم الملك فاروق فاستبدلته ثورة ٢٣ يوليو باسم مسجد السيد محمد كريم ووضعت فى واجهة المسجد لوحة تذكارية نقشت عليها العبارة التالية :-

" إكباراً للبطولة وتكريماً للذكرى وإعتزازاً بالوطنية وانصافاً للتاريخ رأت وزارة الأوقاف أن يطلق إسم السيد محمد كريم على هذا المسجد فى رأس التين ، والسيد محمد كريم هو حاكم الإسكندرية وابنها البار وشهيدها العظيم ، أعتقله الجيش الفرنسى وقتله رمياً بالرصاص فى مدينة القاهرة بجوار القلعة فى يوم ٦ سبتمبر ١٧٩٨ وهو يدافع عن أمته ويذود عن شرف وطنه العزيز " .

وقد أفتتح قادة الثورة هذا المسجد يوم ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٥٣ وأدوا فيه فريضة الجمعة إيذاناً بافتتاحه للشعب .

وهكذا بعثت ذكراه ... ذاكرة الوطن بعد طول نسيان خلال كل الحكومات التى سبقت الثورة .

إن حياة هذا البطل كلها دروس تنطق بعظمته وتلقى بأضوائها على طريق الأجيال الناشئة فتهديها إلى ما هو أقوم وأفضل .

فقد كان عصاميا أنشأ نفسه بنفسه ... بارا بأسرته وعائلته وأهل محافظته وصعد سلم العظمة بجهده ودأبه وإصراره وتحول من شاب صدمته الأيام فى أبيه وتركته بغير مهنة ولا ميراث إلى أعظم حاكم شهدته الإسكندرية واطمأنت لعدله وللحياة فى ظل حكمه .

ولم يلجأ فى الصعود إلى القمة إلى ما يلجأ اليه أكثر الناس من نفاق وطبل

وزمر وخضوع وخنوع وخيانة للقيم والمبادىء ... وإنما إمتاز بالشفافية وبالضمير وبتقوى اللّه والانصياع لكلمة الحق والدفاع عن حرية مواطنيه ووطنه ، ضرب أروع الأمثلة فى نضاله عن مدينته وأمته ووقف فى وجه نابليون سراً وعلانية ... ورغم موته فقد حقق النصر على قاتله .

ألا فليرحم اللّه كل شهداءنا ومن ضحوا من أجل حرية بلادنا .. وكانوا ولازالوا سطوراً مضيئة تنير الطريق أمام شبابنا من أجل المستقبل الزاهر لأمتنا.

الخاتمة

مصر وطن أضناه صنيع الاستعباد .. فى مواجهة ألوان متعددة من الأطماع ولكن شعبها لم يفقد أبداً الأمل فى الحصول على حريته .. وكرس شعبها المناضل حياته من خلال رواده لتحرير وطنه من العبودية والظلم .

إننا حين ندير أبصارنا فى هذه الرقعة من الأرض نرى أثار أقدام الغزاة ، ونتساءل كيف لمثل هذا الشعب من قدرات على تحدى الزمن وتحمل مالا يطيقه البشر دفاعاً عن حريته ... حيث آمن كل أفراده أن الحرية لا تغلب أبداً وهى تقتات بالمقاومة وتزدهر بالتحدى، وترقرق الحياة فيها كلما هطلت عليها ألسنة السياط ، وفى ضمير التاريخ وحده يكمن سر هذا التفاوت البعيد بين الذين غمرتهم الحرية فلا يحزنهم اليوم فزع ... ولا يؤرقهم خوف والذين لا يزالون مقرنين فى الأصفاد .

ومحمد كريم آمن بهذا الوطن ... ووثق فى قدرات هذا الشعب ... ودعا إلى تطهير الضمير الوطنى من مخاوفه ... ودعا إلى المقاومة المستمرة فى مواجهة مستعمر ادعى أنه يملك رسالة ... وكان هو الذى خان ... هذه الأمانة بحثاً عن مصلحته وكان محمد كريم يقول للفرنسيين ... إن الله الذى وهبنا الحياة ... ووهبنا معها الحرية فى نفس اللحظة ... وقف فى محاكمته كالأسد الجسور لم يخش جلاديه ... وعلمهم درساً لم ينسوه ولم ينساه لهم التاريخ ... مؤكداً للفرنسيين أن أولئك الذين حملوا دعوة الحرية والإخاء والمساواة هم أول من خالفوا هذه المبادىء ...

وجاء فى محاكمتهم له ... ليعلم أولئك الذين يسومون الشعوب المقهورة اليوم سوء العذاب أنهم ليسوا سوى إمتداد لوحوش الغابة وهم غرباء عن الإنسانية دخلاء عليها ووظيفتهم فى هذه الدنيا تعويق التقدم الذى يعتمد على الحرية وانطلاق الكرامة الإنسانية من وطأة المهانة وفض قيود التبعية والخضوع لجبروت البشر .

آمن محمد كريم أن الحرية هى روح الحياة ... وأن موكب المعرفة والوعى هما الجسر الذى تعبر عليه الشعوب نحو الوصول اليها ... ومن كلماته الخالدة أن الذى يفرط فى مبادىء الحرية وجوهرها ليشترى بها قدراً تافها من الطمأنينة المؤقتة لا يستحق الحرية ولا الطمأنينة .

وقف ضد نابليون ولم يستسلم إلا بعد أن وجد أن المقاومة مستحيلة لعدم توازن الإمكانيات ... ولعدم وجود سلاح أو ذخيرة لمواصلة النضال وفى دهاء سياسى وذكاء نضالى نجح فى الاستمرار فى مناصبه وقاد المقاومة بشكل سرى حتى اكتشف أمره ولكنه استهان بكل شىء فى سبيل حرية وطنه ... وكان سعيدا بسقوط الكثير من الجنود الفرنسيين خلال زحفهم نحو القاهرة .

كانت المحاكمة مأساة للقيم الثورية التى نادت بها فرنسا ... ولم تتبع فى صدور الحكم عليه وتنفيذه ... سوى الأسلوب الهمجى الذى كانت تتبعة الدولة العثمانية ...

لقد كان إعدام محمد كريم لا لذنب إلا لدفاعه عن حرية وطنه ومواجهة مستعمريه بمثابة إدانة لنابليون وتأكيداً أن الشعوب الضعيفة لا مكان لها فى عالم الغزاة والمستعمرين ، ولكنها بالإرادة والاتحاد تستطيع التحدى حتى تحصل على النصر.

كان محمد كريم مثالاً للجندى المجهول الذى قام بتوجيه المقاومة الشعبية وقيادة حركة الفدائيين ... واستهان بكل ما كان ينتظره ... ورغم إمكانياته أن يفتدى نفسه ... إلا أنه أدرك أن التضحية بنفسه هى الطريق الصحيح لحصول وطنه على حريته... وقد صدقت فراسته حيث كان من ضمن أسباب ثورة القاهرة الأولى ضد نابليون الحكم بإعدام محمد كريم .

على أجيالنا أن تفهم أن مصر لن تنسى رائد الحركة الوطنية الأول فى التاريخ الحديث ... وأن على خطواته سوف تسير الكثير من الشخصيات لأن مصر تستحق التضحية ومستقبلها يستحق أن يراق الدم من أجل بناءها وأن تحتل مكانها بين الأمم .

لقد وهب محمد كريم مصر وجوداً كانت تحلم به وناضل لتحيا ... مرددا لتكن غايتنا فى الحياة بلادنا .. بلادنا وحدها ... وبلادنا كلها ... ولا شئ يعادل حريتها والاستشهاد فى سبيلها .

فتحية لشعب مصر الذى صبر على المحن والشدائد ، خلال موكب تاريخه ، وكيف كره الذل والهوان ورفض الخضوع والاستسلام ... وكيف كافح الغزاة والفاتحين عبر السنين والقرون من عهد الفراعنة حتى اليوم .

وتحية لأول رواد الحركة الوطنية فى تاريخ مصر الحديث السيد محمد كُريَم.

المراجع والمصادر
الخاصـــــة بالبـــحث

هـذه عينـة من مجموعة الـدراسات والأبحاث والمراجع والمصـادر التـى تضم المزيد من التفصيلات عن كفاح " محمد كريم " والحقبة التاريخية التى عاش فيها .. مع ملاحظة أنها ليست مرتبة ترتيباً أبجدياً : -

١ – **روبير ما نتران :** -

العلاقات بين القاهرة واسطنبول فى العهد العثمانى من القرن الـ ١٦ إلى القرن الـ ١٨ .

٢ – **مقال فؤاد زكريا :** -

الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى القاهرة

مجلة الفكر المعاصر العدد ٥١ مايو ١٩٦٩ .

٣ – **جاك بيرك :**

محاضرات فى التاريخ العربى الحديث

القيت على طلبة الدراسات العليا بجامعة عين شمس ١٩٦٨ م .

٤ – **عبد العظيم محمد رمضان :** -

تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٩١٨. 1936 –

دار الكاتب العربى القاهرة ١٩٦٨ .

٥ – **عبد الرحمن الجبرتى :** -

عجائب الأثار فى التراجم والأخبار ج ٣

٦ – **مليكس ماركوم –أميل لودفيج**

نابليون بونابرت القاهرة ٢٠٠٢ م

٧ – **أحمد زكريا الشلق**

تطور مصر الحديثة جامعة عين شمس .

٨ – **محمود متولى :**

محاضرات فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر

القاهرة –المركز المصرى للأبحاث والدراسات ٢٠٠٦ م

٩ – **عبد الرحمن الرافعى :** –

تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر دار المعارف بالقاهرة ١٩٩٠ . جـ ٢

١٠– **عز الدين فراج :** –

كفاح شعب مصر القاهرة ٢٠٠٧ م .

١١– **ج كريستوفر ميرولد :** –

بونابرت فى مصر – دار الكاتب العربى للطباعة والنشر القاهرة ١٩٩٠ ترجمة فؤاد أندراوس –مراجعة محمد أحمد أنيس .

١٢– **صلاح أحمد هريدى :** –

دراسات فى تاريخ مصر الحديث القاهرة ٢٠٠٥ م جـ ١

عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية .

١٣– **عمر السكندرى :** –

تاريخ مصر الحديث القاهرة ١٩١٦ م .

١٤– **عز الدين فراج :** –

مصر مقبرة للغزاة مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة١٩٦٩ م .

١٥– **شحاتة عيسى ابراهيم :** –

عظماء الوطنية فى مصر فى العصر الحديث

الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٩ .

١٦– **عبد الرحمن زكى :**

مصر الظافرة القاهرة ١٩٤٦ م .

١٧ – **أحمد حسين :**

موسوعة تاريخ مصر جـ ٣

دار الشعب القاهرة ط ٤ ١٩٩٠

١٨- محمود الشرقاوى :

الجبرتى وكفاح الشعب كتاب الهلال العدد ١٨٤ يوليو ١٩٦٦ .

١٩- فؤاد عبد السلام الفارسى :

فى السياسة والإعلام وقضايا أخرى

جدة –المملكة العربية السعودية (الكتاب العربى السعودى ١١٨)

ط ١ (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م) .

٢٠- محمود متولى :

محمد كريم شهيد القومية المصرية .

مجلة قضايا تاريخية العدد ١١ يناير ٢٠٠١ .م

المؤلف في سطور ؟

- الإسم / أ . د . محمود متولى
- المهنة / أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة قناة السويس كلية التربية ببورسعيد .

❖ المؤهلات : -

- ليسانس أداب جامعة عين شمس
- ليسانس حقوق جامعة القاهرة
- ماجستير فى التاريخ الحديث والمعاصر بدرجة الإمتياز
- دكتوراة فى التاريخ الحديث والمعاصر بمرتبة الشرف الأولى
- دبلوم معهد الرأى العام والاعلام بمرتبة الشرف .
- دبلوم معهد السياحة العالى بتقدير جيد جداً .

❖ الوظائف التى شغلها :

- رئيس قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة أسيوط .
- رئيس قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة المنيا .
- وكيل كلية الآداب للدراسات العليا جامعة المنيا .
- عميد كلية التربية ببور سعيد جامعة قناة السويس لدورتين متتاليتين .
- عميد كلية التربية بصلالة –سلطنة عمان .
- أستاذ زائر بالجامعات العربية والأوربية .

❖ الأنشطة العلمية :

- حاصل على وسام التاريخ العربى من اتحاد المؤرخين العرب ببغداد .
- حاصل على وسام التاريخ العربى من اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة
- مؤلف لأكثر من سبعين كتابا فى مجالات التاريخ والسياسة والعلاقات الدولية
- عضو لجنة ترقيات الأساتذة منذ أكثر من ربع قرن .
- حاصل على درجة الاستاذية منذ ٢٧ عاما .

- عضو لجنة تسجيل تاريخ ثورة ٢٣ يوليو .
- حاصل على جائزة جامعة السوربون حول رسالة الدكتوراة الخاصة به والتى عنوانها : - " الأصول التاريخية للرأسمالية المصرية وتطورها وأثرها على المجتمع المصرى " .

❖ من أهم مؤلفاته :

- مصر وقضايا الاغتيالات السياسية .
- الحياة الحزبية والنيابية فى مصر قبل عام ١٩٥٢ .
- غد بلا إرهاب .
- طغاة التاريخ .
- المذاهب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .
- سلطان العدل والأمل .
- اسرائيل الحقيقة والمستقبل
- تاريخ أوربا المعاصرة .
- إتفاقية رودس بين العرب واسرائيل .
- حقوق الإنسان الأهداف والآمال .
- طوائف العالم الإسلامى .
- دور مصر فى تحرير الجزائر .
- مستقبل الأمة العربية والأطماع الأجنبية .
- الإخوان المسلمون والعمل السياسى .
- أندونيسيا والكفاح من أجل الإستقلال .
- هتلر والنازية والحرب العالمية الثانية .
- مأساة العصر فى تاريخ مصر .
- محمود فهمى النقراشى ودوره فى السياسة المصرية .
- مصر والحركة الشيوعية خلال الحرب العالمية الثانية .
- الأمم المتحدة والسلام العالمى.

- تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى خلال الحرب العالمية الثانية .
- الفيلسوف الاقتصادى الراحل .
- الوحدة العربية الواقع والمستقبل .
- إسرائيل والقنبلة الذرية .
- أفريقيا فى العلاقات الدولية .
- العالم العربى فى ظل ٦ أكتوبر .
- الإعلام وحرية المجتمع .
- الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها بمصر فى القرن الـ ١٩ .
- فلسفة البحث العلمى .
- الإنسان فى محيط الزمان .

❖ أنشطة إبداعية :

- عضو مؤسس لسيمنار التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة عين شمس .
- مؤسس المنتدى الفكرى لجامعة قناة السويس .
- مؤسس دورية التاريخ والمستقبل الصادرة عن جامعة المنيا .
- مؤسس دورية قضايا تاريخية الصادرة عن كلية تربية بورسعيد
- الأمين العام المساعد لإتحاد المؤرخين العرب ببغداد .
- رئيس مجلس إدارة المركزالمصرى للأبحاث والدراسات .
- له أكثر من خمسمائة مقال منشورة فى الدوريات العلمية والصحف .
- شارك فى مناقشة أكثر من مائة رسالة فى الجامعات المصرية .
- أشرف على أكثر من سبعين رسالة ماجستير وثلاثين رسالة دكتوراة .
- عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .
- عضو نقابة المحامين .

وزارة الاعلام
الهيئة العامة للاستعلامات

سلسلة رواد الحركة الوطنية المصرية
القراءة للجميع
٢٠٠٨
(١)
محمد كُريّم

رئيس مجلس الإدارة
السفير / أيمن القفاص

إشراف عام
د. أحمد أبو الحسن

اشراف فنى عام
أحمد سلام

مراجعة ومتابعة
عزة فؤاد على

اشراف فنى
إيمان شوشه

الليزر
أحمد صلاح الدين
عائشة محمد حسن
سامية كمال عبد الفتاح
ناهد عبد العال محمد

الغلاف
مى رأفت

الإخراج الفنى
علاء العيسوى